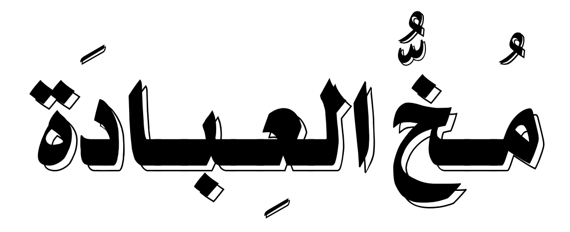



سبع خطب في تفسير سورة الفاتحة والصلاة والدعاء


لحضرة

مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام




سبع خطب في تفسير سورة الفاتحة

والصلاة والدعاء

**لحضرة**

**مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز**

**الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام**

***Mukhkhul-‘Ibādah***
(Essence of worship)

**اسم الكتاب: مُخُّ العِبادَة**

**الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ الموافق لـ ٢٠١٣م**

An Arabic rendering of:
Seven Sermons
of
***Ḥaḍrat Mirza Masroor Ahmad***
***Head of the Worldwide Ahmadiyya Muslim Jamā‘at,***
***Fifth Successor to the Promised Messiah[as]***

Translated from Urdu by: Arabic Desk U.K.

First Arabic translation published in the UK: 2013



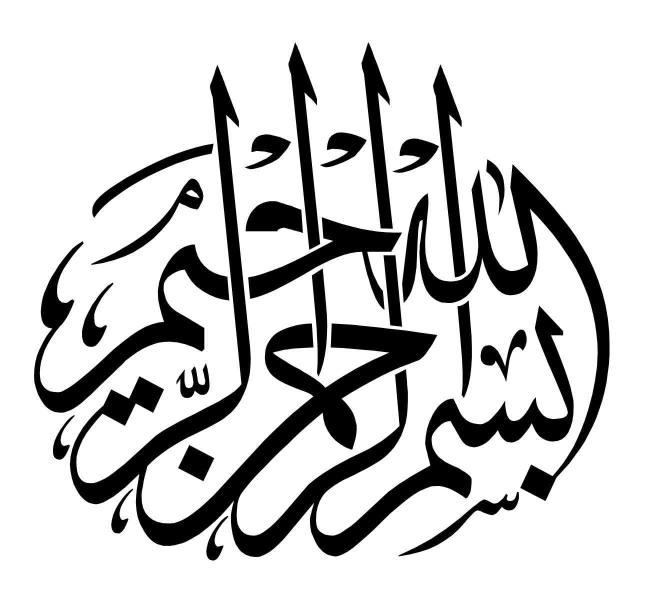
Published by:
Islam International Publications Ltd.
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey, GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Tilford

For further information please contact:
Phone: +44 1252 784970
Fax: +44 1252 781692
www.islamahmadiyya.net

Cover designed by: Anan Massoud Odeh

ISBN: 978-1-84880-432-6


بسم الله الرحمن الرحيم

# فهرس المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

# مقدمة الناشر

من أهم الكنوز التي جاء بها المسيح الموعود عليه السلام تفسيرُه لسورة الفاتحة وتبيان ما تتضمنه من معانٍ عظيمة، ودعاءٍ كامل، ومنهج متكامل للارتقاء بالإنسان، في أي درجة روحانية كان، وإنشاء علاقة وطيدة بينه وبين ربه، ثم رفعه إلى أعلى درجات الإيمان والتقوى. ولقد تناول حضرة أمير المؤمنين مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز جوانب من هذا التفسير وأهمية الصلاة والدعاء في خطب جمعةٍ سبعٍ، في فترات مختلفة، ركّز فيها خاصة على أهمية الدعاء ومعانيه من سورة الفاتحة. ولقد ارتأينا أن نجمع هذه الخطب في كتاب، لكي يسهل على القارئ الاطلاع على هذه المعاني العظيمة.

لقد تم ترتيب هذه الخطب حسب مواضيعها لا تاريخها، وذلك بأمر من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره العزيز.

لقد شارك في ترجمة هذه الخطب الإخوة الأفاضل: عبد المجيد عامر، محمد أحمد نعيم، محمد طاهر نديم، عبد المؤمن طاهر، وقام بمراجعتها الإخوة الأفاضل: علاء نجمي المرحوم، د وسام البراقي، تميم أبو دقة، د. محمد حاتم حلمي الشافعي، هاني طاهر، وحظي المهندس فتحي عبد

السلام بشرف وضع العناوين الرئيسية والفرعية خلال النصّ. فجـــزاهم الله أحسن الجزاء.

نسأل الله تعالى أن يوفق القارئ العزيز للاستفادة القــصوى مـــن هـــذه الخطب، وأن يوفقه في إنشاء العلاقة مع الله تعالى والتقدم في الإيمان والتقوى والعمل الصالح، آمين.

الناشر

# سورة الفاتحة..

# جوهر التعاليم القرآنية

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

## سورة الصلاة

نقرأ سورة الفاتحة في كل صلاة، وقد وردت لها أسماء كثيرة في الأحاديث وذُكرت فضائلها أيضا. ومن أسمائها "سورة الصلاة" أيضا، وقد ورد ذلك في رواية. وهناك رواية عن أبي هريرة ﵁ يقول: "سمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ" (مسلم).. أي في نصفها ذُكرت صفات الله تعالى وفي النصف الآخر دعاء من العبد. فهذه هي أهمية هذه السورة. ويجب على كل من يقرأها في الصلاة أن ينتبه إليها ويتأمل في صفات الله تعالى ليستفيد منها أكثر فأكثر. ويجب عليه أيضا أن يقرأها بكل إمعان وتعمق في كل ركعة في الصلاة من أجل الاستفادة من الأدعية التي وردت فيها. وإضافة إلى ذلك يجب دائما الانتباه أيضا إلى أن لهذه السورة علاقة متينة مع هذا العصر الذي هو عصر المسيح الموعود ؑ. وهناك في الصحف السابقة نبوءة عن سورة الفاتحة وهذه النبوءة تتحدث عن هذا الأمر،

كما أن مضمون الفاتحة نفسها يشير إلى الإنعامات المنوطة بزمن المسيح الموعود عليه السلام وإلى طريقة الحصول عليها، وينّبه من الشر والضلال المنتشر في ذلك الزمن وطريقة تجنّبِه. فمن هذا المنطلق يجب على المسلمين المعاصرين أن يعيروا هذا الأمر اهتماما خاصا. ولكن لسوء الحظ إن المشايخ مسيطرون فكريا على الأمة إلى درجة أنهم قضوا على قدرتهم على التفكير فلم تعد الأمة مستعدة للانتباه إلى هذا الأمر. فإن أغلبية المسلمين لا يريدون أن يفكروا في هذا الموضوع. ولكن هناك عدد لا بأس به بفضل الله تعالى منهم الذين يفكرون ويتدبرون ويدركون ضرورة المسيح والمهدي. ذلك أن الذين وقعوا في شراك المشايخ المزعومون يدفعونهم إلى الشر والضلال. وكلُّ مسلم يتألمُ قلبُه من أجل الإسلام يشعر ويقول بأنّ الشر والشرك والضلال منتشر في كل مكان، كما نرى هذه الأشياء منتشرة فعلا، لذا هناك حاجة إلى عبد خاص من الله تعالى. فإذا كان هذا الشعور والإحساس موجودا فلا بد من البحث عن هذا العبد أيضا، إذ من الممكن أن يكون هذا العبد قد جاء. والحق أن هذا العبد الخاص لله تعالى قد جاء فعلا، ولكن الأغلبية من المسلمين ليست جاهزة لقبوله إما نتيجة اتّباعهم المشايخَ أو نتيجة الخوف. فينبغي للمشايخ وعامة الناس أيضا أن يطلبوا الهداية من الله تعالى ويجب أن ينبذوا التعنت والعناد.

على أية حال، نحن مكلَّفون بمهمة تبليغ الدعوة ولسوف نستمر في أداء هذه المسؤولية في كل الأحوال وسنواصل عملنا. ولكن إلى جانب ذلك علينا نحن الأحمديين الذين ننتمي إلى المحب الصادق للنبي ﷺ أن نسعى جاهدين لازدياد علمنا ومعرفتنا ويجب أن نسعى للاستفادة من مضامين سورة الفاتحة أكثر فأكثر. لقد شرح المسيح الموعود عليه السلام لنا هذه السورة العظيمة في كتبه بأساليب مختلفة، ولا شك في أن هذا يضعنا أمام مسؤولية أن نسعى جاهدين لفهم مضامينها، وإدراك معارفها لنطبق تلك المضامين والمفاهيم في حياتنا ونستفيد منها حق الاستفادة.

## الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمينَ

والآن سوف أقدم لكم بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام عن الآية الثانية من سورة الفاتحة.. أي الآية: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ﴾ التي تأتي بعد ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم﴾ وسأشرح كيف بيّن عليه السلام المفاهيم الكامنة في هذه الآية بأساليب مختلفة. لقد اقتبست بعض المقتطفات من كلامه عليه السلام عن هذه الآية وهي تحتوي على بعض الجوانب من الكنوز العلمية والروحانية المكنونة في هذه الآية التي أشار إليها المسيح الموعود عليه السلام. لا شك أن هناك مقتبساتٍ أخرى كثيرة أيضا التي قراءتُها تزيدنا عرفانا ومعرفة، ولكنّ الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى تلك المعارف العميقة بسماعها مرة واحدة، بل هذا مستحيل

تماما. لذا لا بد من أن يقرأها المرء بنفسه لفهم تلك المعارف. عندها فقط يمكننا أن ندرك ونفهم تلك الكنوز الروحانية ونستفيد منها.

## تفسير الحمد

لقد فسّر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام "الحمد لله رب العالمين" بالإيجاز فقال:

﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ أي جميع المحامد متحققة في ذلك المعبود الحقيقي الجامع لجميع الصفات الكاملة الذي اسمه "الله" (*أي كل أنواع الحمد والثناء تتحقق لله سبحانه وتعالى الجامع لجميع الصفات، وإن الله وحده يتصف بجميع الصفات الكاملة*). لقد بيّنتُ من قبل أن "الله" في مصطلح القرآن الكريم هو اسم ذلك الذات الكامل الذي هو المعبود الحق والجامع لجميع الصفات الكاملة والمنـزَّه عن جميع الرذائل، (*أي هو جامع جميع الصفات الحسنى، ومنـزه من كل أنواع الضعف والنقائص والصفات الرديئة*) وهو واحد لا شريك له، وهو مبدأ جميع الفيوض.. (*أي تصدر منه جميع أنواع الفيض*). ولما كان الله سبحانه وتعالى قد وصف اسمَه "الله" في كلامه المقدس -القرآن الكريم- موصوفا لسائر أسمائه وصفاته الأخرى.. (*أي أن الاسم "الله" يشمل جميع صفاته الأخرى، إن الاسم "الله" هو الوحيد من أسمائه الذي توجد فيه جميع صفاته سبحانه وتعالى*) ولم يجعل لأيٍّ من الأسماء الأخرى هذه المنـزلة، لذا فإن الاسم "الله"؛ يدل على

كافة الصفات التي وُصف بها لكونه متصفا بجميع الصفات ولأنه قد جُعل موصوفا لجميع الأسماء والصفات، لذا تعيَّن مدلولُه أنه يشمل جميع الصفات الكاملة. (*إن اسم الله هذا يشمل جميع الصفات على أكمل وجه*) فملخص "الحمد لله" هو أن كافة أنواع الحمد ظاهرية كانت أم باطنية أو باعتبار الكمالات الذاتية أو عجائب القدرة خاصةٌ بالله تعالى ولا شريك له فيها. وكذلك إن جميع المحامد الصحيحة والكمالات التامة التي يمكن أن يتفكر بها عاقل (*أي كل ما يمكن من الحمد الصحيح والثناء وكل المزايا الكاملة التي يمكن أن يفكر فيها أي عاقل*) أو يمكن أن تخطر ببال متفكر كلها موجودة في ذات الله تعالى. وليس هناك ميزة يمكن أن يشهد العقل بإمكانية وجودها ويكون الله محروما منها مثل الشقيّ. (*أي لا يمكن أن يكتشف الإنسان بعقله أي ميزة ويكون الله محروما منها كإنسان شقي*) فلا يسَعُ عقلَ عاقل أن يكتشف ميزة لا توجد في الله، (*إن تفكير الإنسان محدود إذ لا يدركه ولا يحيط بتلك الصفات*) بل مهما فكر الإنسان بمزايا فإنها موجودة كلها في ذات الله تعالى، وهو حائز على الكمال في ذاته وصفاته ومحامده من كل الوجوه، ومنــــزَّه من الرذائل كلها على أكمل وجه.

(البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، صفحة ٣٦٤-٣٦٥)

لهذا قد علَّمنا النبي ﷺ دعاء: "أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيءٌ أعظمَ منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجرٌ،

وبأسماء الله الحسنى ما علِمتُ منها وما لم أعلم منها، مِنْ شرٍّ ما خَلَقَ وذَرَأَ وبَرَأَ" (الموطأ).

فالإنسان لا يمكن أن يحيط بصفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى. ثم يقول عليه السلام في بيان معاني "الحمد" بعد هذا التفسير الموجز لـــ ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: "اعلمْ أن الحمد ثناءٌ على الفعل الجميل لمن يستحق الثناء، ومدحٌ لمنعِمٍ أنعمَ من الإرادة وأحسنَ كيف شاء. (*أي إنما يُحمَد من يُنعم ويعطي بإرادته وبحسب مشيئته، ومعلوم أن مشيئة الله هي وحدها النافذة*) ولا يتحقق حقيقةُ الحمد كما هو حقُّها إلا للذي هو مَبْدَأٌ لجميع الفيوض والأنوار (*أي يصدر منه كل أنوع الفيض*)، ومُحسِنٌ على وجه البصيرة، لا مِن غير الشعور ولا من الاضطرار (*فهو يُنعم ويمنّ بعلمه الكامل، فلا يمنّ على أحد دون شعوره أو بدافع الاضطرار*)، فلا يوجد هذا المعنى إلا في الله الخبير البصير، وإنه هو المحسن ومِنْه المِننُ كلها في الأول والأخير، وله الحمد في هذه الدار وتلك الدار، وإليه يرجع كلُّ حمد يُنسَب إلى الأغيار. (إعجاز المسيح)

أي كل من يُحمد سوى الله ﷻ فهو أيضا بسبب الله فقط، إذ يُمدَح غيرُ الله على المحاسن والمزايا التي وهبها الله له، وعلى عمله الحسن الذي عَمِله ليكون مظهرا لصفاته ﷻ، أو قد صدر منه ذلك العمل نتيجة تأثير رحمانية الله أو رحيميته فيه، فصار جديرا بأن يمدحه شخصٌ

أحسن إليه. فأساس كل عمل الإنسان في هذا العالم، وحيثما يوفَّق الإنسان لعمل ما فإنما بتوفيق إلهي، فيعود الحمد أخيرا إلى الله.

وفي هذا الخصوص يتابع عليه السلام قائلا: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ هو الثناء باللسان على الجميل للمقتدر النبيل على قصد التبجيل، والكامل التام من أفراده مختصٌّ بالرب الجليل، وكل حمدٍ من الكثير والقليل، يرجع إلى ربنا الذي هو هادي الضال ومُعِز الذليل، وهو محمود المحمودين. (*أي إن الذين يُحمَدون هم الآخرون يَحمدونه سبحانه وتعالى*). (كرامات الصادقين)

## حمد اللّه سبحانه وتعالى مصدر كل شرف وعزّ

فإليه يرجع كل شيء كما قلت، فقد قال إنه يهدي الضالين، فهو حين يهدي الضالين فالمهتدي سيُنيب إلى الله أخيرا ويحمده. فأراذل الناس في نظر أهل الدنيا ينالون الشرف والعزّ عند الله، كما هي سنة أعداء الأنبياء الذين يقولون بحق أتباع الأنبياء ﴿هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ لكن الله يبدل الأوضاع فجأة حتى يجعل فرعونَ يستجدي حياته، كما سأل زعماءُ مكة الأمانَ لأنفسهم. ثم هذا الأمر يلفت انتباه المؤمنين مرة أخرى إلى الحمد الحقيقي ويمكِّنهم من إدراكه. وفي هذا الزمن أيضًا، فالذين يَعُدُّون أفراد الجماعة مهانين ولا مكانة لهم في المجتمع، ويقولون إنهم أذلاء وسوف نفعل بهم كذا ونعاملهم بكذا؛ فإن الله سبحانه وتعالى يُري

قدرته دومًا إزاء كل هذا وذاك، وسيأتي زمن يقضى فيه على كل هؤلاء.

والملخص أن في حمد الله إشارة أيضا إلى أنه ﷻ قد حُمِّد حمدا كاملا، وهو يَحمد أيضا على وجه الكمال، وإن حمد الله ﷻ هو مصدر كل شرف وعزّ. ومن واجب كل مؤمن أن يلوذ بالله بإدراك هذا الحمد.

## الحكمة في افتتاح اللّه كتابَه بالحمد لا بالشكر أو الثناء

يزيد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير "الحمد" شارحًا لماذا بدأ الله ﷻ القرآن الكريم بالحمد فيقول: "وإنّ الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء، لأن الحمد يُحيط عليهما بالاستيفاء، وقد نابَ مَنابَهما مع الزيادة في الرِّفاء وفي التزيين والتحسين (*أي أن هذه الكلمة تشمل الجمال والحسن والإصلاح أيضا*) ولأن الكُفّار كانوا يحمدون طواغيتهم بغير حق (*أي كانوا يذكرونهم بفخر كبير*)، ويؤثرون لفظ الحمد لمدحهم ويعتقدون أنهم منبع المواهب والجوائز ومن الجوّادين؛ وكذلك كان موتاهم يُحمَدون عند تعديد النوادب، بل في الميادين والمآدب، كحمد الله الرازق المتولي الضمين؛ فهذا ردٌّ عليهم وعلى كل من أشرك بالله وذكرٌ للمتوسّمين. وفي ذلك يلوم الله تعالى عَبَدةَ الأوثان واليهود والنصارى وكل من كان من المشركين. فكأنه يقول أيها

المشركون.. لِمَ تحمدون شركاءكم وتُطرُون كبراءكم؟ أهم أربابكم الذين ربّوكم وأبناءكم؟ أم هم الراحمون الذين يرحمونكم ويردّون بلاءكم، ويدفعون ما ساءكم وضَرّاءكم، ويحفظون خيرًا جاءكم، ويَرحَضون عنكم قَشَفَ الشدائد ويداوون داءكم، أم هم مالِكُ يوم الدين؟ بل الله يُربّي ويرحم بتكميل الرفاء، وعطاء أسباب الاهتداء، واستجابة الدعاء، والتنجية من الأعداء، وسيعطي أجر العاملين الصالحين. (كرامات الصادقين)

ثم يقول موضّحا بأن إلهنا إله كامل وهو يستحق الصفات الكاملة وحائز على جميع أنواع المحامد، فيقول عليه السلام: ومع ذلك فيه إشارة إلى أنه مَن هلَك بخطاه في أمر معرفة الله تعالى، أو اتخذ إلها غيره، فقد هلك مِن رفْضِ رعاية كمالاته وترْكِ التأنق في عجائباته، والغفلةِ عما يليق بذاته، كما هو عادة المبطلين.(*أي من لم يفُزْ بمعرفة الله فقد هلك، ومن اتخذ إلها آخر وعدَّ أحد الناس حائزا على كمالات الله، فقد اختفى عن نظره شأنُ الله، كذلك من جعل أحدا من الناس مقابل الله فسوف يؤدي ذلك إلى هلاكه*) ألا تنظر إلى النصارى أنهم دُعوا إلى التوحيد، فما أهلكهم إلا هذه العلّة، وسوّلتْ لهم النفسُ المضلّة، والشهوة المُزِلّة، أن اتخذوا عبدًا إلهًا، وارتضعوا عُقار الضلالة والجهالة، ونسوا كمال الله تعالى وما يجب لِذاته، ونحتوا لله البنات والبنين. ولو أنهم أمعنوا أنظارهم في صفات الله تعالى وما يليق له من الكمالات لما أخطأ توسُّمُهم وما

كانوا من الهالكين. فأشار الله تعالى ههنا أن القانون العاصم من الخطأ في معرفة البارئ عز اسمه إمعانُ النظر في كمالاته، وتتبُّعُ صفات تليق بذاته (*أي ينبغي إدراك صفاته ﷻ وتحرّيه*)، وتذكُّر ما هو أولى من جدوى، وأحرى من عدوى (*أي يردَّد ذكرُه*)، وتصوُّرُ ما أثبتَ بأفعاله من قوّته وحوله وقهره وطَوْله، فاحفَظْه ولا تكنْ من اللافتين. واعلم أن الربوبية كلها لله، والرحمانية كلها لله، والرحيمية كلها لله، والحكم في يوم المجازاة كله لله، فإياك وتَأَبِّيك مِن مطاوعةِ مُربّيك، وكُنْ من المسلمين الموحّدين. وأشار في الآية إلى أنه تعالى مُنزّه مِن تجدُّد صفةٍ، وحُؤول حالةٍ، ولُحوق وصمةٍ، وحَوْرٍ بعد كَوْرٍ،(*أي لا يمكن أن يحدث فيه أي نقص فهو جامع المحاسن فلا يقال إنه كان يجوز على صفة فتحسنتْ*) بل قد ثبَت الحمد له أوّلا وآخرا، وظاهرا وباطنا، إلى أبد الآبدين. ومن قال خلاف ذلك فقد احْرَوْرَف وكان من الكافرين.

(كرامات الصادقين)

فإن الله ﷻ منــزَّه عن جميع النقائص والعيوب، وإن الذي لا يدرك صفاته إدراكا صحيحا فهو يسقط في هوة الهلاك، فالأقوام السابقة كلها هلكت لأنها لم تعرف صفات الله وأشركوا، وإذا كانوا عرفوها فنسوه. ثم يقول موضحا إن المسلمين قد عُلِّموا أن إلههم حائز على كل أنواع الحمد: "وفي لفظ الحمد لله تعليم للمسلمين أنهم إذا سُئلوا وقيل لهم من

إلهكم.. فوجَب على المسلم أن يجيبه أن إلهي الذي له الحمد كله، وما مِن نوعٍ كمال وقدرة إلا وله ثابت، فلا تكن من الناسين".

(كرامات الصادقين)

فلا يكفي الإعلان باللسان بأن الحمد لله، إذ ينبغي الالتفات عند قول "الحمد لله" إلى أن لي إلها واحدا أعبده، وإنما أعبده لأنه ربي وإلهي.

## حكمة أخرى لافتتاح الفاتحة بالحمد للّه

ثم يقول عليه السلام:

وقد بُدئت هذه السورة بـــ الحمد لله، التي تعني أن كل أنواع الحمد والثناء يليق بمن يسمَّى "الله". وقد بدئت بجملة "الحمد لله" للتنبيه بأن الهدف الحقيقي أن يُعبَد الله بحماس الروح وانجذاب الطبع، وهذا الانجذاب الفياض بالعشق والحب لا يتأتى بحق أحد ما لم يثبت أنه جامعٌ لهذه المحاسن الكاملة التي حين يلاحظها القلب ينصرف إلى حمده والثناء عليه تلقائيا. فالبديهي أن الحمد الكامل ينشأ من نوعين من المحاسن، أحدهما كمالُ الحسن والثاني كمالُ الإحسان، (*أي إذا كان أحد يتمتع بجمال فيُحمد أو يحمد المرءُ من أحسن إليه*) وإذا اجتمعا في أحد فإن القلب يكون فداء له ويُستهام به، وإن أكبر غاية للقرآن الكريم هي أن يجلي على طلاب الحق نوعَي حُسن الله كليهما، لينجذب الناس إلى ذلك الفذّ الذي ليس كمثله شيء، ويعبدوه بحماس الروح وانجذابها.

لهذا قد أراد أن يرسم الصورة اللطيفة في أولى السور أن الله الذي يدعو إليه القرآنُ الكريم كم يحوز من الصفات. ولهذا السبب ابتُدئت هذه السورة بـــ الحمد لله مما يعني أن جميع أنواع المحامد تليق بمن يسمى اللهَ.

(أيام الصلح)

فالذات الإلهي جامع للحسن والإحسان ولهذا بُدئ بالحمد لله، ثم بيّن عليه‌السلام بوضوح في موضع آخر ما هو حسن الله وما إحسانه، لكنه موضوع مستقل.

## إحسانات اللّه الأربعة الرئيسة

هنا أريدُ أن أخبركم بإيجاز أن حسن الله سبحانه وتعالى هو أنه حائز على جميع أنواع المحامد، كما سبق أنه جامع جميع الصفات الكاملة، وحائز على جميع الصفات، أما إحسانه فقد بين سيدنا المسيح الموعود عليه‌السلام لبيانه أربعة مبادئ بارزة بحسب هذه السورة، وألخصها لكم.

إحسانه الأول أنه ربٌّ، أي يخلق الخلق ويربيه ليوصله إلى غايته المتوخاة. والإحسان الثاني هو رحمانيته التي بموجبها قد وهب القدرات لكل ذي حياة، وهيأ له وسائل البقاء بحسب حاجاته، ووهب للإنسان حظا أكبر منها، أما الإحسان الثالث فرحيميته بحيث يتقبل الدعاء والأعمال الصالحة ويجزي عليها ويحمي من الآفات والبلايا، أما الإحسان الرابع فهو مالكيته يومَ الدين التي بموجبها يمن بأفضاله الخاصة

فيهب من يشاء قدر ما يشاء وكيفما يشاء، ويثمر الأعمال بفضله. فهذه هي الإحسانات الأربعة التي بينها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لخصتها لكم.

ثم يقول عليه السلام موضِّحا أن في ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى يأتي بالهدى بعد كل ضلال:

"وأشار الله سبحانه في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه هو خالقُ كل شيء ومنه كلُّ ما في السماوات والأرضين. ومِن العالَمين ما يوجد في الأرضين مِن زُمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين، فقد يزيد عالَمُ الضلال والكفر والفسق وتركِ الاعتدال، حتى يُملأ الأرضُ ظلمًا وجورًا ويترُك الناس طرقَ اللهِ ذي الجلال، لا يفهمون حقيقة العبودية، ولا يؤدّون حقّ الربوبية. *(أي لا يؤدون حق العبودية ولا ينتبهون إلى حقيقتها ولا يؤدون حق ربوبية الله)* فيصير الزمان كالليلة الليلاء، ويُداسُ الدين تحت هذه اللأواء. ثم يأتي الله بعالَمٍ آخر فتُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض وينْزل القضاء مُبدَّلاً من السماء، ويُعطَى للناس قلبٌ عارفٌ ولسانٌ ناطقٌ لشكر النعماء، فيجعلون نفوسهم كمَوْرٍ مُعبَّد لحضرة الكبرياء، ويأتونه خوفًا ورجاء بطرفٍ مغضوض من الحياء، ووجهٍ مُقبِل نحو قبلة الاستجداء، وهمّةٍ في العبودية قارعةٍ ذُروةَ العلاء."

## كشف خلق الأرض والسماء الجديدة

هنا يقول عليه السلام: "... ثم يأتي الله بعالَمٍ آخر فتُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض". وقد تلقى المسيح الموعود عليه السلام إلهاما أيضا إذ رأى في الكشف أنه يقول بأني خلقتُ أرضا جديدة وسماء جديدة، ثم قلتُ: تعالوا الآن نخلق الإنسان. لقد أثار المشايخ ضجة كبيرة حين قال عليه السلام ذلك، وقالوا: انظرُوا، لقد ادّعى الألوهية. فقال المسيح الموعود عليه السلام بأنه ليس ادّعاء الألوهية بل المراد هو أن الله تعالى سيُحدث على يدي تغيُّرا عظيما وكأن السماء والأرض ستصبح سماء جديدة وأرضا جديدة وسيتحول الناس إلى أناس حقيقيين يعبدونه مخلصين له ويؤدون حق العبودية ويعرفون الله تعالى حق المعرفة. فيقول عليه السلام:

"يأتونه خوفًا ورجاء بطرفٍ مغضوض من الحياء، ووجهٍ مُقبِل نحو قبلة الاستجداء، وهمّةٍ في العبودية قارعةٍ ذُروةَ العلاء. *(أي يتوجهون إلى العبودية التي تليق بالإنسان ويؤدون حقها كاملا، ففي هذه الأوقات تكون الحاجة إليهم ملحة)* ويشتدّ الحاجة إليهم إذا انتهى الأمر إلى كمال الضلالة، وصار الناس كسباعٍ أو نَعَمٍ من تغيُّرِ الحالة، فعند ذلك تقتضي الرحمة الإلهية والعناية الأزلية أن يُخلَق في السماء ما يدفع الظلام، ويهدم ما عمر إبليسُ وما أقام، من الأبنية والخيام. فينْزل إمامٌ من الرحمن، ليذُبّ جنودَ الشيطان. *(كما قلت قبل قليل بأن المسيح*

*الموعود تلقّى إلهاما أو رأى في الكشف)* ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان، *(أي جند الشيطان وجند الرحمن يتحاربان)* ولا يراهم إلا من أُعطِيَ له عينان، *(الذي ينظر ببصيرة يمكن أن يرى، كما يرى مَن يؤدي حق عبودية الله)* حتى غُلَّ أعناقُ الأباطيل، وانعدمَ ما يُرى لها نوعُ سرابٍ من الدليل. فما زال الإمام ظاهرًا على العِدا، ناصرًا لمن اهتدى، مُعْلِيًا معالمَ الهدى، مُحيِيًا مواسمَ التُّقَى، *(أي يبذلون معظم أوقاتهم في أمور الورع والحسنة والتقوى، ويعقدون مجالس ذكر الله تعالى ولعبادته وتُذكر صفاته ﷻ)* حتى يعلم الناس أنه أَسَرَ طواغيتَ الكفر وشدَّ وِثاقَها، وأخَذ سباع الأكاذيب وغلَّ أعناقَها، وهدَم عمارةَ البدعات وقوّض قِبابَها، وجمَع كلمةَ الإيمان ونَظَمَ أسبابها، وقوّى السَّلْطَنَةَ السماوية وسدَّ الثغور."

فإننا نستفيد اليوم من الأرض الجديدة والسماء الجديدة التي خُلقت بواسطة المسيح الموعود عليه السلام، فعلينا أن نركز بوجه خاص إلى اجتناب البدعات وتقوية إيماننا وأن نسعى جاهدين لأداء حق عبادة الله، ويجب أن نعرف أساليب ربوبيته حق المعرفة.. عندها فقط نستطيع أن نستفيد من السماء الجديدة والأرض الجديدة. ثم يوضح عليه السلام أن الإنسان عندما يعرف الله تعالى حق المعرفة ويصل إلى معايير عليا لعبادته.. عندها فقط يعرف رب العالمين حق المعرفة، حتى يتميز عن الآخرين. فيقول عليه السلام في شرح ذلك:

"وأشار الله سبحانه في قوله: "رَبِّ الْعَالَمِينَ". فهو الذي يُحمد في السماوات والأرض، ويحمده الحامدون دائما وينهمكون في ذكره، وما من شيء إلا ويحمده ويسبحه. وعندما يخلع العبد لباس أنانيته ويتخلى عن أهوائه ويفني في سبله وعبادته، ويعرف ربه الذي ربّاه بألطافه، فيحمده في كل الأوقات، ويحبه ويحمده بكل قلبه بل بكل ذرات وجوده، عندئذ يصبح هذا الشخص عالَما من العالَمين." ثم يضرب عليه السلام أمثلة على ذلك ويقول بأن أحد العالمين من تلك العالمين هو عالَم بُعث فيه سيدنا خاتم النبيين ﷺ . ثم ضرب عليه السلام مَثل زمنه هو وقال بأن الله تعالى رحم الباحثين عنه وخلق حزبا هو حزب المسيح الموعود والمهدي المعهود. فعندما انتمينا إلى هذا المرسَل من رب العالمين فيجب أن تكون أوَّلِيّاتُنا ابتغاءَ مرضاة الله لنكون جزءا من ذلك العالَم. وعلينا أن نبذل قصارى جهودنا في ذلك لننال فيضا من رب العالمين. ثم يوضح عليه السلام ما يشمله "العالمين" وما هو تعريف العالمين فيقول:

"وعرفتَ أن العالَمين عبارة عن كل موجود سوى الله خالقِ الأنام، سواء كان مِن عالم الأرواح أو من عالم الأجسام، وسواء كان من مخلوق الأرض أو كالشمس والقمر وغيرهما من الأجرام. فكلٌّ من العالَمين داخلٌ تحت ربوبية الحضرة."

فما دام كل شيء يستفيد من ربوبية الله، ونعلم أيضا على وجه اليقين بأن الله تعالى هو ربّ العالمين ومع ذلك يتخذ العبد أحيانا عبادا آخرين

أربابا ورازقين. ففي بعض الأحيان تغلبه المادية بسبب تأثير المجتمع. وإذا حدث ذلك يجب على المؤمن أن يحاسب نفسه فورا ويستغفر الله ويتوب بكثرة ويعود إلى رب العالمين دون تأخير لنستفيد من الأرض الجديدة التي نسكنها ومن السماء الجديدة التي تظلنا بسقفها. ثم وضّح عليه السلام بأن الله تعالى يسد حاجاتنا الروحانية أيضا إلى جانب الحاجات المادية فيقول في شرح كلمة "رب العالمين":

"إن الله تعالى إله العالم كله، وكما خلق المواد والأسباب لسد الحاجات الجسدية لكل المخلوقات، مشتركة بين الجميع دون التمييز بين الخلق وهو رب العالمين بحسب مبدئنا، وقد خلق الغلال والهواء والماء والضوء وغيرها من الأمور لكافة المخلوقات كذلك ظل يرسل المصلحين بين حين وآخر في كل زمان لإصلاح كل قوم. فيقول تعالى. ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾".

فكما ظل الله يرسل المرسلين من قبل كذلك أرسل في هذا العصر أيضا، ثم يوضح عليه السلام كلمة رب العالمين من منطلق أن فيضه ليس خاصا بقوم دون قوم فيقول:

"لقد استهل اللهُ تعالى القرآن الكريم بآية سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. أي أن الله تعالى يملك جميع الصفات الكاملة والطيبة. إن كلمة "العالَـــم" تشمل الأقوام المختلفة والأزمنة المختلفة والبلاد المختلفة أيضا. وفي استهلال القرآن الكريم بهذه الآية تفنيد الأقوام التي

تعتبر ربوبية الله العامة وفيضه العميم مقتصرا على قومهم فقط ويظنون الأقوام الآخرين وكأنهم ليسوا عباد الله، وكأن الله خلقهم ثم رماهم كشيء رديء أو نسيهم، أو ليسوا من خلقه أصلا والعياذ بالله."

## رب العالمين يهيئ التربية الروحانية أيضا

فكما يهيئ رب العالمين أسبابا لتربية الإنسان المادية كذلك يهيئها لتربيته الروحانية أيضا. هذه هي ربوبيته، والذي ينكرها فكأنه ينكر صفة الله "الربوبية". فالذين يقرأون سورة الفاتحة في هذا العصر ومع ذلك ينكرون المسيح الموعود عليهم أن يفكروا في الموضوع جيدا. كذلك يجب علينا نحن أيضا أن نفكر جيدا بعد بيعة المسيح الموعود عليه السلام وأن نبذل قصارى جهدنا للتقدم في الروحانية والتقوى. ثم يقول عليه السلام:

"في لفظ "الحمد" إشارة أخرى وهي أن الله تبارك وتعالى يقول أيها العباد اعرفوني بصفاتي، وتعرّفوني بكمالاتي، فإني لست كالناقصين، بل يزيد حمدي على إطراء الحامدين، ولن تجد محامدًا لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي، وإن أردتَ إحصاء محامدي فلن تحصيها، وإن فكّرتَ بشقّ نفسك وكَلِفْت فيها كالمستغرقين. فانظر هل ترى مِن حمد لا يوجد في ذاتي؟ وهل تجد من كمال بُعِّدَ مني ومن حضرتي؟ فإن زعمت كذلك فما عرفتني وأنت من قوم عمين. بل إنني

أُعرَف بمحامدي وكمالاتي، ويُرَى وابلي بسُحُبِ بركاتي، فالذين حسبوني مستجمِعَ جميعِ صفات كاملة وكمالات شاملة، وما وجدوا من كمال وما رأوا من جلال إلى جولانِ خيال، إلا ونسبوها إليَّ، وعزوا إليّ كل عظمة ظهرت في عقولهم وأنظارهم، وكلَّ قدرة تراءت أمام أفكارهم، فهم قوم يمشون على طرق معرفتي، والحق معهم وأولئك من الفائزين.

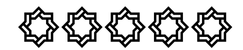
فقوموا، عافاكم الله، واستقرِئوا محامده عزَّ اسمه، وانظروا وأمعِنوا فيها كالأكياس والمتفكرين. واستنفِضوا واستشِفّوا أنظاركم إلى كل جهة كمال وتَحسَّسوا منه في قَيْض العالم ومُحِّه، كما يتحسس الحريص أمانيه بشُحّه، فإذا وجدتم كماله التام وريّاه، فإذا هو إيّاه، وهذا سرّ لا يبدو إلا على المسترشدين.

فذلكم ربكم ومولاكم الكامل المستجمِع لجميع الصفات الكاملة، والمحامد التامة الشاملة، ولا يعرفه إلا من تدبر في الفاتحة، واستعان بقلب حزين. وإن الذين يُخلصون مع الله نيّةَ العقد، ويعطونه صفقة العهد، ويُطهّرون أنفسهم من الضغن والحقد، تُفتح عليهم أبوابها فإذا هم من المبصرين."

وكما قلتُ من قبل، إن هذا هو المقام الذي يجب علينا أن نصبو إليه ونصله بعد أن دخلنا في بيعة المسيح الموعود عليه السلام. واعلموا أننا لن نكون موفقين في التدبر في سورة الفاتحة وسائر القرآن الكريم إلا باتّباع القواعد

التي بيّنها سيدنا المسيحُ الموعود عليه السلام لذلك. أسأل الله تعالى لنا التوفيق لإدراك صفاته وصياغة حياتنا وفق أحكامه سبحانه وتعالى كما تمنى المسيح الموعود عليه السلام وتوقّعَ منا.

**(خطبة الجمعة يوم ٢٠١٢/٠٢/١٠ في مسجد بيت الفتوح بلندن)**



# اسم اللّه

# الـــهـــادي

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، **آمين**.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٧)

## حاجتنا للتفاني في بيعتنا للّه تعالى

بقدر ما تحتاج الدنيا للخضوع أمام الله تعالى في هذه الأيام بقدر ما هي بعيدة عنه سبحانه وتعالى؛ أي أن في الإنسان - الذي هو أشرف المخلوقات - ضعفًا وفتورا في علاقته بالله بقدر ما هو بحاجة إلى توطيدها معه لاجتناب مفاسد الدنيا وابتلاءاها ولتحسين عاقبته. والذين يدّعون توطيد العلاقة معه سبحانه وتعالى أيضا ليسوا منتبهين إلى هذا الأمر أو لا يسعون للانتباه إليه، ولا يدركون أن الإيمان الظاهري والعبادة الظاهرية لا تكفي لتوطيد العلاقة بالله تعالى، بل لا بد من البحث عن تلك الروح التي تبلِّغ المرء إلى مغزى الإيمان والعبادات. هذا هو حال الذين يدّعون الإيمان والعلاقة بالله عزّ وجل. وثلاثة أرباع سكان العالم تقريبا إما

جعلوا لله شركاء أو هم متورطون في الشرك بوجه أو بآخر، أو لا يؤمنون بالله أصلا بل ينكرون وجوده. ثم لم يقتصروا على إنكار الله بأنفسهم بل لم يدّخروا جهدا في سبيل إضلال الآخرين أيضا. وفي خضمّ هذه الأحداث والظروف هناك جماعة صغيرة للذين يؤمنون بالله تعالى ويصدّقون تحقّق وعود الله تعالى ونبوءات رسوله ﷺ. والذين يوقنون أنه حين نسيت الدنيا خالقها وخالق السماوات والأرض، فإن الله تعالى إظهارًا لربوبيته ولإخراج العالَم من حالة الفساد وتقريبه العبد إليه سبحانه قد بعث في هذا العصر إمام الزمان: وهذا الحزب هو نحن الأحمديون بفضل الله تعالى ورحمته. ولكن هل يكفينا مجرد الإيمان واليقين بأن الله تعالى قد بعث هذا الإمام، وأن هذا المبعوث وبعض حوارييه سيقومون بتوطيد العلاقة بين الخالق والمخلوق ويسعون لرفع الفساد من العالم؟

إذا كنا نحن الأحمديين متمسكين بهذه الأفكار فإن أفكارنا أقرب إلى الذين يدّعون الإيمان بلسانهم ويدّعون بالقيام بالعبادات ولكنهم بعيدون عن العمل كل البُعد. فإذا كنا لا نحاسب أنفسنا ولا نوطد علاقتنا مع الله تعالى ولا نرسّخ هذه الدعوة في أذهان أجيالنا ولا نبلّغها إلى مجتمع نعيش فيه فهذا يعني أننا فقدناها وإن كنا قد وجدناها ظاهريا. وكأننا قبِلنا عداوة الدنيا ومع ذلك ما وجدنا الله ﷻ. إذًا، فلا بد أن نخلق في

أنفسنا بعد الانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية وبيعة المسيح الموعود عليه السلام روحا يجب أن يتحلّى بها كل عبد من عباد الرحمن.

## طمأنة اللّه لمحمد ﷺ عند قلقه

وهناك حاجة للوصول إلى المعايير التي جاء سيدنا رسول الله ﷺ لترسيخها. وحين أخبره اللهُ تعالى أن الأمة تتخلى عنها يوما قلق ﷺ من أجلها بشدة. وحين وجده الله تعالى حزينا قلقا أجاب أدعيته في حق أمته وبشّره قائلا: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: ٤) فقد أزال الله تعالى اضطرابه ﷺ قائلا: يا محمدُ، كما حوَّلتَ أنت قوما مشركين وجاهلين إلى أهل الله، وكما أن المشغوفين في اللهو واللعب وغير العارفين بوجود الله صاروا حائزين على مستويات عليا من العبادات ببركتك أنت، كذلك سأبعث في الآخرين من أمتك - على الرغم من فسادها - شخصا محبا صادقا لك، وبواسطته سأجعلهم عباد الرحمن مرة أخرى فسيؤدون حق عبادتي كما يجب.

فيا محمد (ﷺ) ستواجه أمتك انحطاطا مؤقتا، ولكن الله العزيز الحكيم قد قدّر أن دين محمد ﷺ هو الدين الوحيد الذي تكمن فيه الآن نجاة البشر أجمعين. وفي دين محمد ﷺ وحده توجد بارقة الأمل، وهو العلاج الوحيد لدرء المفاسد من العالم كله. وهذا هو الدين الوحيد الذي سيغلب على العالم كله مُظهرا حُسنه وجماله. وإن المؤمنين بالمسيح

المحمدي هم الذين سيؤدون دورهم لتوطيد العلاقة بالله تعالى. فهذا ما قدّره الله تعالى ربُّ العالمين لينقذ أشرف المخلوقات من الضياع ويعيد لخير الأمة مجدها الغابر. وسيقدر ذلك في المستقبل أيضا. فقد طمأن الله تعالى النبيَّ ﷺ أنه سيأتي محبك الصادق ويقيم الدين في الدنيا من جديد. ولكن هذا المسيح الموعود الآتي سيأتي ببركة النبي ﷺ فقط.

## يأذن الله بخلق عالم جديد دليلا على ربوبيته وعظمته

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في ذكر ربوبية الله تعالى:

"وأشار الله سبحانه في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه هو خالقُ كل شيء ومنه كلُّ ما في السماوات والأرضين. ومِن العالَمين ما يوجد في الأرضين مِن زُمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين، فقد يزيد عالَمُ الضلال والكفر والفسق وتركِ الاعتدال، حتى يُملأ الأرضُ ظلمًا وجورًا ويترُك الناس طرقَ اللهِ ذي الجلال، لا يفهمون حقيقة العبودية، ولا يؤدّون حقّ الربوبية. فيصير الزمان كالليلة الليلاء، ويُداسُ الدين تحت هذه اللأواء. ثم يأتي الله بعالَمٍ آخر فتُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض وينْزل القضاء مُبدَّلاً من السماء، ويُعطَى للناس قلبٌ عارفٌ ولسانٌ ناطقٌ لشكر النعماء، فيجعلون نفوسهم كمَوْرٍ مُعبَّد لحضرة الكبرياء، ويأتونه خوفًا ورجاء بطرفٍ مغضوض من الحياء، ووجهٍ مُقبِل نحو قبلة الاستجداء، وهمّةٍ في العبودية قارعةٍ ذُروةَ العلاء. ويشتدّ الحاجة إليهم

إذا انتهى الأمر إلى كمال الضلالة، وصار الناس كسباعٍ أو نَعَمٍ من تغيُّرِ الحالة، فعند ذلك تقتضي الرحمة الإلهية والعناية الأزلية أن يُخلَق في السماء ما يدفع الظلام، ويهدم ما عمر إبليسُ وما أقام، من الأبنية والخيام. فينْزل إمامٌ من الرحمن، ليذُبّ جنودَ الشيطان. ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان، ولا يراهم إلا من أُعطِيَ له عينان، حتى غُلَّ أعناقُ الأباطيل، وانعدمَ ما يُرى لها نوعُ سرابٍ من الدليل. فما زال الإمام ظاهرًا على العِدا، ناصرًا لمن اهتدى، مُعْلِيًا معالمَ الهدى، مُحيِيًا مواسمَ التُّقَى، حتى يعلم الناس أنه أَسَرَ طواغيتَ الكفر وشدَّ وِثاقَها، وأخَذ سباع الأكاذيب وغلَّ أعناقَها، وهدَم عمارةَ البدعات وقوّض قِبابَها."

فيقول عليه السلام بأن هذا الانقلاب العظيم قد حدث بواسطة النبي ﷺ. فهل كان هذا الانقلاب مؤقتا فقط؟ وهل العالم الذي بُعث النبي ﷺ فيه كان عالما مؤقتا فحسب؟ كلا، بل كان النبي ﷺ خاتم الأنبياء وإن زمنه ممتدّ إلى يوم القيامة. وإن أمته سوف تبقى غالبة إلى يوم القيامة بإذن الله وهو ﷺ نبي الأمة المسلمة. فكما قلتُ بأنه ﷺ كان قد أُخبِر بانقلاب سيظل جاريا وأخبره الله تعالى بأنه سيُبعَث شخص في المستقبل.

يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحا هذا الموضوع:

"ثم هو سبحانه أشار في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه خالقُ كل شيء وأنه يُحمَد في السماء والأرضين، وأن الحامدين كانوا على حمده

دائمين، وعلى ذكرهم عاكفين، وإنْ مِن شيء إلا يسبِّحه ويحمَده في كل حين. وإن العبد إذا انسلخ عن إرادته، وتجرّدَ عن جذباته، وفنى في الله وفي طرقه وعباداته، وعرف ربَّه الذي ربّاه بعناياته، حمِده في سائر أوقاته، وأحبَّه بجميع قلبه بل بجميع ذرّاته، فعند ذلك هو عالَمٌ من العالَمين، ولذلك سُمّي إبراهيم أُمّةً في كتابِ أعلَمِ العالِمين.

ومن العالَمين زمانٌ أُرسِلَ فيه خاتم النبيين، وعالَمٌ آخر فيه يأتي الله بآخرين من المؤمنين في آخر الزمان رحمةً على الطالبين، وإليه أشار في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَة﴾ (القصص:٧١) فأومأ فيه إلى أحمدَين وجعَلهما مِن نعمائه الكاثرة. فالأول منهما أحمدُ المصطفى ورسولنا المجتبى، والثاني أحمدُ آخرِ الزمان، الذي سُمّي مسيحًا ومهديًّا من الله المنّان. وقد استنبطتُ هذه النكتة من قوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فليتدبّرْ من كان من المتدبّرين."

لقد اقتبستُ هذين المقتبسين من كتاب "إعجاز المسيح" الذي ألّفه المسيح الموعود عليه السلام بالعربية.

## بعثة المسيح الموعود عليه السلام لثورة عظيمة

فبسبب طاعة المسيح الموعود عليه السلام الكاملة للعبد الكامل ﷺ وبلوغه الذروة في حبه وإخلاصه له ﷺ ونتيجه خلعه لباس الأهواء عنه، وبسبب فنائه في الله تعالى، قد بعثه الله في هذا الزمن الأخير، فعلّمنا بدوره طرق

الحب والإخلاص لله وسبل عبوديته ﷻ. فكما ذكرت أن الله تعالى ببعثة النبي ﷺ قد أحدث إنقلابا عظيمًا بحيث تحول المنكرون والمشركون إلى عباد ربانيين، ثم أوصل هؤلاء العبادُ رسالةَ محمد ﷺ إلى مختلف الشعوب والبلاد وجعلوا منهم عبادًا يعبدون الله الواحد. ولكنهم لما نسوا الله ومالوا على الدنيا ونسوا الهدف من خلقهم مع مرور الوقت فقد حرموا من أفضال الله تعالى. لا شك أنه حفاظًا على استمرارية النظام الروحاني ظلّ الله تعالى يقيم عباده الصالحين هنا وهناك في ذلك العصر المظلم أيضا، ولكن تلاشى ذلك العز والشرف الذي حظي به المسلمون الأوائل ولم تعد لهم العلاقة مع الله التي أحرزوها في صدر الإسلام. أما الآن فقد أعلن الله رب العالمين في هذا العصر عن إحداث انقلاب عظيم ببعثة أحمد الثاني وسيواصل متبعوه هذه المسيرة الآن، بل لا يؤمن به حقيقة إلا من يساهم في استمرار هذا الانقلاب. فعليكم أن تصبحوا عباد الرحمن واجعلوا الآخرين عباد الرحمن مستعينين بالله تعالى. فلو فعلنا ذلك أمكننا القول بأننا نختلف عن المسلمين الآخرين وإلا فإن مجرد ادعاء الإيمان ليس بشيء يميزنا عن الآخرين.

## لا تكتفوا بالتفاخر بآبائكم الذين سبقوكم في الإيمان

لقد بُعث المسيح الموعود عليه السلام وأنجز مهمة عظيمة لإحياء الإسلام، فكان من بين أصحابه عباد الرحمن الذين كانوا أصحاب كشوف

ورؤى، والذين أدوا حق كونهم عباد الله تعالى. لقد تحققت نبوءة ﴿وَآخَرِيْنَ مِنْهُمْ﴾ ببعثة المسيح الموعود الَّيْلاً، وحاز صحابته تلك المرتبة السامية التي أوصلتهم مع الأولين، والآن فإن نبوءات رقي هذا النظام والجماعة مستمرة إلى يوم القيامة. لا يليق بنا أن نكتفي بذكر هذا الرقي بكل تفاخر بل ينبغي أن ندرك مسؤولياتنا تجاه المساهمة في هذا الرقي ولنصبح جزءا منه. لا يجدر بنا أن نفرح بما فعله آباؤنا بل لا بد من مواصلة ذلك الانقلاب الذي نلحظه في حياة صحابة المسيح الموعود الَّيْلاً. تقع اليوم على عاتق الأحمدي مسؤولية إنقاذ العالم من الآفات وإنشاء علاقته مع الله. فلا نستطيع أن نُعَدَّ من أتباع أحمد الثاني الحقيقيين ما لم نبذل جهودنا أفرادًا وجماعة وما لم يدرك كلّ منا واجباته ومسؤولياته تجاه هذا الأمر، ولا يسعنا أداء هذه المسؤولية ما لم نصبح عباد الله تعالى الذين يصيرون صورة متجسدة لقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾.

## رمضان.. فرصة فريدة للتقدم الروحاني

وهذه منة من الله تعالى إذ أتاح لنا - لتحسين حالاتنا الروحانية - فرصةً أخرى للمرور من شهر رمضان الذي تفتح فيه أبواب وسبل لتلبية أوامر الله تعالى وإحراز الرقي في الإيمان ونيل قرب الله تعالى. فالسعداء هم الذين ينالون شرف خطاب الله تعالى ﴿عِبَادِي﴾ في هذا

الشهر. وفقنا الله تعالى في هذا الشهر لنيل قرب الله تعالى بكل حرص والتياع.

قال المسيح الموعود عليه السلام وهو يذكر أهمية هذا الشهر الفضيل:

"إن هذا الشهر صالح جدًّا لتنوير القلب... تؤدي فيه الصلاة إلى تزكية النفس، أما الصوم فيحظى به القلب بالتجلّي".. أي أن هذا الشهر صالح لتنوير القلب. ولكن لماذا هذا الشهر بالذات؛ فهو أيضا يحتوي على تسع وعشرين يوما أو ثلاثين كالشهور الأخرى؟ إنه صالح لذلك لأنه قد جمعت فيه عبادتان اثنتان بشكل خاص وأتاح الله تعالى لعباده فرصةً للقيام بهما أو وفقهم لأدائهما.

يقول حضرته عليه السلام: "والمراد من تزكية النفس أن يصير العبد في معزل عن شهوات النفس الأمارة، وأما التجلّي على القلب فيعني أن يُفتح عليه باب الكشف بحيث يرى الله عز وجل". (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، تفسير قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾).

فحري بنا بذل السعي لتحقيق هذا الهدف العظيم. لقد اجتمعت في رمضان عبادتان وهما الصلاة والصوم. إذن فلا بد لنا أن نتمتع في صلواتنا أثناء رمضان بحالة روحانية خاصة تؤدي بنا إلى الوصول إلى تزكية النفس التي تبعدنا عن السيئات والشهوات حتى نسمع بأنفسنا نداء الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

## بقاء العالم منوط بوجودنا

يجب ألا تكون صلاتنا هذه أو صومنا مقصورة على شهر رمضان فقط بل يجب أن نؤديها بهذا الحماس والعزيمة بحيث نجعل كل التغييرات الحاصلة فينا في هذا الشهر الفضيل جزءا من حياتنا، وأننا سنظل ملبين أوامر الله تعالى، ونزداد إيمانًا مع إيماننا. نؤدي هذه العبادات بهذا التفكير أن بقاءنا يكمن في كوننا عبادًا حقيقيين لله تعالى وإن بقاء العالم منوط بنا. فأنى لنا هداية العالم إذا كنا في الظلمات، وكيف لنا إرشاد الآخرين ليصبحوا عباد الله تعالى إذا كنا لا ندرك المعاني العميقة لقوله تعالى: ﴿عِبَادِي﴾؟

لقد بعث الله تعالى المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر لمواصلة المهمة التي بُعث لأجلها النبي ﷺ، وسُئل بنفس هذا السؤال الذي سئل به رسول الله ﷺ من الذين يريدون لقاء الله تعالى. فقد دلّهم هذا المحب الصادق للنبي ﷺ على طريق إصلاحهم وسبل التقرب إلى الله تعالى وكوّن جماعة من المؤمنين به. واليوم يطرح العالم كله هذا السؤال نفسه على جماعة المؤمنين. ولا يسع جماعة المؤمنين الرد الصحيح عليه ما لم يحرز كل فرد منها تلك المستويات الخاصة بالذين يستجيبون لله تعالى ويؤمنون به ثم يزدادون إيمانًا. ولا يتأتى ذلك إلا إذا أجاب الله تعالى دعواتنا واستوعَبْنا معاني نداء الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

## علاج الفساد التوجه بالدعاء إلى الله

إن الفساد والقلق والاضطراب محيط بالعالم سواء في بلاد الشرق أو الغرب، وبلاد المسلمين أو بلاد المسيحيين المتقدمة. لقد أقضّتْ أعمالُ التخريب والفساد والقلق التي وقعت في الأيام الماضية في هذا البلد مضاجعَ أهله، إذ أدركوا أنه ليست البلاد الفقيرة فقط في خطر بل إن أمن هذه البلاد المتقدمة أيضًا مهدد. والحق أن علاج هذا القلق ليس إلا أن يُجعَل الناسُ عبادًا لله تعالى. إننا لا نملك أية قوة، وكما لا تقدر أية قوة مادية على أن تمكِّن العبادَ من معرفة الخالق. هناك سبيل واحد لإصلاح العالم قد دلّنا عليه إمامُ هذا الزمان عليه السلام، ألا وهو الاستعانة بالله تعالى والتركيز على الدعاء أكثر مع القيام بنشر رسالة السلام هذه، وبذل الجهود ولكن الاعتماد على الدعاء أكثر. وكما ذكرت آنفًا- فإنه لا يلقى عونَ الله تعالى ولا يُوفَّق للدعاء المجاب إلا الذين يعلمون بأحكام الله تعالى ويزدادون به إيمانًا.

## قانون وشروط الاستجابة لينشر الله ظلال السلام

أقرأ على مسامعكم الآن بعضَ أقوال المسيح الموعود عليه السلام بإيجاز، حيث بيّن فيها الطرق التي تساعد على استجابة الدعاء، والشروط التي لا بد من الوفاء بها لكي يسمع الله دعاءنا ويستجيبه، ونوعية الإيمان الذي يرشد إلى سبل الهدى ويقوّي العلاقة بين الله والعبد.

## ١:التقوى

وأحد الشروط التي ذكرها المسيح الموعود عليه السلام بهذا الصدد هو أن يتحلى المرء بالتقوى.. أي أن تستولي عليه مخافة الله وخشيته في كل حين وآن، مدركًا أن الله تعالى يراه كل لحظة وأنه يراقب كل حركة له وسكون، لذا فعليه ألا يتصرف تصرفًا يُسخِط الله تعالى، وإنما يجب أن تكون أعضاؤه كلها خاضعة لأوامر الله تعالى، وتكون أخلاقه ومعاملاته مع الخَلْق كلها تابعةً لأحكام الله تعالى، وأن تتحرك أعضاؤه كلها من عينٍ وأذنٍ ولسانٍ ويدٍ وقدمٍ بحسب مرضاة الله.

## ٢: اليقين

وهذا مستحيل إلا إذا تيسّرَ للمرء يقين كامل بذات الله تعالى، ولذلك قد نبّهنا المسيح الموعود عليه السلام إلى أمر هام جدًّا يؤدي إلى استجابة دعواتنا، فقال: عليكم أن تتحلّوا باليقين الكامل بأن الله حق، وأنه خالقُ السماوات والأرض وهذا العالمِ وغيرِه من العوالم وكلِّ ما نعلمه وما لا نعلمه، وأنه ليس بخالقها فقط، بل يملك القوة كلها ومنبع القدرات كلها. إنه قادر على أن يُفني ما خلق، وأن يخلق ما يشاء، وأنه هو المحيي والمميت، فيحيي الموتى ويميت الأحياء، وأنه يُحدِث نتيجةَ الدعاء انقلابا ينفخ الروح في الأموات. وإذا تيسر لنا هذا اليقين تيسر لنا

الإيمان بأنه تعالى قادر تماما على استجابة دعواتنا، وهو بالفعل يستجيب منها ما يراها خيرًا لنا.

## ٣: الرقة واللوعة

ويضيف حضرته عليه السلام ويقول: ومن شروط الدعاء أن يكون مصحوبًا بالرقة والالتياع. فإذا دعوت الله تعالى فلا تكتفي بترديد بعض الكلمات بلسانك بعض الوقت ثم تفرغ من الصلاة أو الدعاء، بل ينبغي أن تستولي عليك الرقة واللوعة حتى يذوب قلبك وتفيض عينك بالدموع، موقنًا بأن الله تعالى هو سندك الأخير الذي يجيب دعاءك. يجب أن يستولي عليك اضطراب وقلق بأن الله تعالى هو سندك الأخير الذي إذا فقدتَه خسرتَ الدنيا والآخرة. يقول المسيح الموعود عليه السلام: هكذا يجب أن تكون حالتكم أثناء الدعاء.

## ٤: التواضع والانكسار

ومن شروط قبول الدعاء التواضعُ. إن التواضع هو ما يقرّب الإنسان من الله تعالى، ولذلك قال المسيح الموعود عليه السلام في بيت شعر له بالأردية ما معناه:

فكِّر أنك أسوأ الناس، فعسى أن يُدخِلك هذا التفكير في دار الوصال الإلهي.

يعني أنك إذا بلغتَ منتهى التواضع واعتبرتَ نفسك أحقرَ العباد، وطهَّرتَ نفسك من الكبر بجميع أنواعه وأشكاله، عندها فقط تكون هناك إمكانية لوصالك بالله تعالى، لأن فوز المتكبر بقرب الله تعالى محال، ومَن حُرم قربَ الله ووصاله حُرم استجابة الدعاء أيضًا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن الدعاء الذي يكون مليئًا بالتواضع والاضطراب وانكسار القلب يجذب فضل الله تعالى ويجاب ويحقّق المراد، ولكن هذا أيضًا لا يتيسر إلا بفضل الله وتوفيقه.

يعني عليه السلام أن القيام بهذا الدعاء الحقيقي أيضًا بحاجة إلى الاستمرار في الدعاء والابتهال، لذا فعلى العبد أن يواظب على الدعاء بأن يوفقه الله تعالى للدعاء، أعني أنه بحاجة إلى الدعاء ليوفَّق للدعاء المستجاب أيضًا. فإذا استولى عليه هذا التفكير فمن المحال أن يغفل عن القيام بالدعاء والأعمال التي أمر الله بها والتي تقرّبه إلى الله تعالى.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: إن الباب الذي فتحه الله تعالى لفلاح خَلْقه إنما هو باب واحد وهو الدعاء. عندما **يدخل العبد هذا الباب باكيًا مبتهلاً** فإن مولاه الكريم يخلع عليه رداء الطهارة والقداسة، ويجعل عظمته مستوليةً على قلبه استيلاءً يجنّبه السيئات ويُبعده عن التصرفات الخاطئة بُعْدًا عظيمًا. فطوبى للذين يطهّرون قلوبهم بالبكاء والابتهال، معرضين عن لغو الدنيا وعبثها، فيدخلون في المقربين عند الله حيث يجعل عظمته تستولي عليهم، ويباعد بينهم وبين السيئات. ولكن لا بد للمرء

من بذل الجهود والإنابة إلى الله تعالى أولاً للفوز بهذا المقام. هذا هو القانون الطبيعي والقانون الإلهي والقانون الشرعي، وهذا ما صرح الله به.

## ٥: الوفاء بحقوق عباد الله

ومن أهم شروط استجابة الدعاء هو ما قد ذكرتُه بإيجاز قبلَ قليل ألا وهو أداء حقوق الله وحقوق العباد. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام بهذا الصدد: يجب أن تعيشوا بحيث لا يبقى عليكم شيء من حقوق العباد ولا حقوق الله. اعلموا أن من يهضم حق المخلوق لا يستجاب دعاؤه لأنه ظالم.

## ٦: دعاء الله وحبه عند الأمن وعند الشدة

ويضيف عليه السلام: إن الذي يخشى الله تعالى في حالة الأمن كخشيته عند حلول المصيبة به، فإن الله تعالى يرحمه عند الكربة. إن الذي لا ينسى الله تعالى في حالة الأمن فإنه تعالى لا ينساه وقت الشدة، أما الذي يعيش وقت الأمن غافلاً ويدعو الله تعالى وقت المصائب، فلا يجاب دعاؤه أيضًا.

فعلى المرء أن يتوجه إلى الله تعالى ويواظب على الدعاء وقت الأمن أيضًا، وهذا هو سرُّ قبولية الدعاء. لقد قال الله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، والدعاء في كل حالة هو من الأمور التي أمرنا الله تعالى بها وعلينا أن

نستجيب له فيها. فيجب ألا ندعوه ﷻ في شهر رمضان أو عند نزول بليّة أو في ساعة عسرة فحسب، بل لا بد لنا من الإنابة إليه تعالى في الظروف العادية وفي حالة الأمن والسلام أيضًا.

## ٧: إحداث تغيير شامل في النفس

ثم يقول عليه السلام: لا بد للمرء من أن يغيّر نفسه تغييرًا طيّبًا لكي يستجاب دعاؤه. أما إذا لم يتجنب السيئات وتعدّى حدود الله تعالى فستخلوا أدعيته من أي تأثير.

فما دام الله تعالى قد قال آمرًا: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، فعلى المرء أن يفكر ويبحث عن كل ما أمر الله بفعله حتى يفعله فينال قربه تعالى، وأن يفكر ويبحث عن كل ما نهى الله عنه حتى يسعى للانتهاء منه. وهذه الأوامر والنواهي مذكورة في القرآن الكريم وتبلغ المئات. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام:

اجعلوا عظمة الله تعالى مستولية على قلوبكم، واجعلوا جلاله نصب أعينكم دومًا، واعلموا أن في القرآن الكريم قرابة خمسمئة حكم، وأنه قد دعاكم إلى وليمة نورانية بالنظر إلى كل عضو من أعضائكم ولكل قوةٍ ووضعٍ وحالةٍ وعمرٍ وسنٍّ ودرجةِ فهمٍ وفطرةٍ وسلوكٍ وحالةِ انفراد وحالةِ اجتماع، فلبُّوا دعوتَه هذه شاكرين وكلوا من كل الأطعمة التي أعدها لكم واستمتعِوا بها. أقول، والحق أقول، إن الذي لا يعمل بحكم

واحد من هذه الأحكام كلها سيؤاخَذ يوم الحساب. إذا أردتم النجاة فعليكم أن تدينوا دينَ العجائز، وتضعوا أعناقكم تحت نير القرآن طائعين كالمساكين.

والمراد من التديّن بدين العجائز أن يسعى المرء للعمل بهذه الأحكام بكل ما أعطي من قوة. عندما يرتقي ويتطور يجد أمامه المزيد من طرق السلوك، ولكن الأساس هو أن يسعى جاهدا للعمل بأحكام الله تعالى.

## ٨: حملُ نِيْر القرآن

قال حضرته عليه السلام: " يجب أن تحملوا نير طاعة القرآن الكريم على رقابكم. إن الشرير سيُهلك، والمتمرد سيُلقى في جهنم. والذي يُخضع رقبته بالمسكنة يُنقذ من الموت. لا تعبدوا الله بشرط بحبوحة الدنيا لأن هذه الأفكار مآلها الحضيضُ. بل يجب أن تعبدوا الله واضعين في الاعتبار أن العبادة حق الله عليكم. يجب أن تكون العبادة حياتكم. وألا يكون هناك هدف من أعمالكم الصالحة إلا أن يرضى بكم ذلك الحبيب الحقيقي والمحسن الحقيقي. فإن الفكرة الأدنى من ذلك مدعاة للعثار."

ندعو الله تعالى أن ندرك هذه النقطة في هذا الشهر الفضيل ونُرضي ذلك المحسن الحقيقي. فقد ربط الله تعالى استجابة الدعاء والعملَ بأوامر الله تعالى وتقويةَ الإيمان ونوالَ الهداية بشهر رمضان ووجّه أنظارنا إلى أنني جاهز لإيصال الخير إلى العباد وإنقاذهم من الآفات والمصائب

والعذاب دائما، ولكن يجب على العباد أيضا أن يؤدوا حق العبودية. وعليهم أن ينفذوا كل هذه الأمور بعد ادّعائهم أنهم عبادي الخواص. ويجب أن يعملوا - بعد انتمائهم إلى عبادي الخواص - بالتعليم الذي جاء به لخلق الله عبادُه الخواص هؤلاء حتى يكثر في العالم عدد عباد الرحمن. ولكي يصبح العالم مكان أمن وسلام وحُبٍّ بسبب عباد الرحمن هؤلاء لنرى مشهد الجنة في هذه الدنيا.

لذا إن ادّعاءنا لتقوية الإيمان، وإيمانَنا بإمام الزمان وواجبنا المهم لمواساة خلق الله الذي تُكلَّف به الجماعات الربانية يقتضي منا أن نكون من عباد الله المخلصين الذين يجيب الله تعالى أدعيتهم. ونكون من العباد الذين يُحدثون انقلابا في حالتهم، ونكون من العباد الذين يسعَوْن - بدافع مواساة خلق الله — لإنقاذ الناس من السيئات ومن عذاب الله تعالى.

إذًا، فقد جاء شهر رمضان ليدرّبنا على هذه الأعمال الحسنة ولكي نصل إلى مستوى عباد الله الحقيقيين، ولتقوية إيماننا وتوطيده. فلو استفدنا من هذا الشهر الفضيل حق الاستفادة لكنا من السعداء حقا. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لذلك.

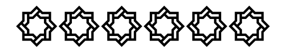
## لنستلّ سيف الدعاء لفتح المستقبل

لا حاجة لعُدة الدنيا وعتادها لإنقاذ العالم من المفاسد وإنقاذه من الوقوع في حفرة من النار ولا ينفع شيء من هذا القبيل. بل هناك حاجة

لسلاح وحيد هو سلاح الدعاء. فحين تدعون لأنفسكم في شهر رمضان يجب أن تدعوا لتقوية إيمان أولادكم أيضا توطيد علاقتهم بالله تعالى. وكذلك يجب أن تدعوا لإنقاذ العالم من الدمار. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"من أكبر سعادة المسلمين أن إلههم هو مجيب الدعوات." ولكن لا يُدرك هذه الحقيقة اليوم إلا الأحمديون وحدهم. فلا داعي لليأس لأن إلهنا مجيب الدعوات، بل نحن على يقين تام بأنه لا بد أن تتحقق — بإذن الله تعالى – تلك الأمور التي أخبرنا عنها المسيح الموعود عليه السلام بخصوص رقي الجماعة. ولا بد أن تأتي تلك الأيام التي ترفرف فيها راية النبي صلى الله عليه وسلم على العالم كله. ويكثر عدد عباد الله الذين ينالون الرشد والهداية. وأذكركم مرة أخرى ألا تنسوا هذا الدعاء أن يدخلنا الله تعالى في عباده الخالصين المهتدين، وأن يوفقنا لننتفع من بركات رمضان حق الانتفاع. آمين.

**(خطبة الجمعة يوم ١٢ /٠٨/ ٢٠١١ في "مسجد بيت الفتوح" بلندن)**



# الصراط المستقيم

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، **آمين**.

## ضرورة الدعاء من أجل التوفيق للدعاء

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: لا بد من الدعاء من أجل التوفيق للدعاء الحقيقي.

ويقول عليه السلام أيضًا: فكّرتُ ذات مرة ما الفرق بين الصلاة والدعاء، فتذكرت الحديث النبوي: الصلاة هي الدعاء، وأن الصلاة مخ العبادة.

ويقول عليه السلام: اعلموا أن الصلاة تجنّب المرء الأعمالَ السيئة والفواحش، ولكن أداء مثل هذه الصلاة – أي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر- ليس بخيار الإنسان، إنما يتأتي ذلك بالاستعانة من الله تعالى. يعني عليه السلام: بدون معونة الله تعالى لا يوفّق المرء لأداء الصلاة والعبادة التي تحمي صاحبها من الفواحش والمنكرات وترشده إلى الصراط المستقيم.

كل هذه الأقوال تبين لنا كيف يجب أن تكون عباداتنا وأدعيتنا، وما هي الطرق التي ينبغي علينا اتّباعها في الدعاء، وما هو التأثير الذي يجب أن يُرى في أنفسنا نتيجة عباداتنا وأدعيتنا، وكيف يمكن أن تحظى عباداتنا وأدعيتنا بالقبول عند الله تعالى. لو استوعبنا هذه الأمور وأدركنا أن العبادة وحدها هي غاية خلقنا، وأننا لن تكون عاقبتنا الحسنى في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق هذه الغاية فقط، فلا بد أن نسعى لتحقيق هذا الهدف جاهدين ومعرضين عن كل شيء سواه. لكن، وكما بين المسيح الموعود عليه السلام، لا بد لنا أن نسأل الله التوفيق للدعاء الحقيقي، وأن كل هذه الأمور لا تتأتى بدون الاستعانة من الله تعالى، وأن تحقيق غاية خلقنا محال بجهودنا وحدها.

## طلب نجدة: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إن الله اللطيف بعباده قد علّمنا في أول سورة في القرآن الكريم دعاءً، وفرَض علينا ترديده في كل ركعة من الصلاة سواء الفرائض والسنن والنوافل، أعني دعاء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومعناه: ربنا إننا نريد أن نعبدك، ولكننا لا نستطيع أن نعبدك حق العبادة إلا إذا شملتْنا معونتك ونصرتك. فالمؤمن عندما يستغيث الله تعالى بحماس شديد ويبتهل إليه بصرخة متواضعة نابعة من الأعماق، يحالفه التوفيق في العبادة.

## اللّه يرسل معونة دائمة: شهر رمضان

ثم إن من منن الله على عباده أنه يأتي لهم بشهر رمضان في كل سنة معلنًا ها قد هيّأت لكم فرصة أخرى للتقرب إليّ، وصفّدتُ فيه الشيطان، وأنني مستعدّ لإعانة كل عبد، بل إني أعينه بالفعل حين يأتيني بقلب سليم وإيمان كامل، عامِلاً بأحكامي، ومعاهِدًا أنه سيعبدني وحدي ويكون عبدًا مخلصًا لي، فمَن فعل ذلك منكم سأستجيب دعاءه.

فالحق أنه إذا كان هناك تقصير فإنما هو مِن جانبنا نحن العباد، أما الله تعالى فلا يألو في الإحسان إلينا وإعانتنا.

## أرسل اللّه المسيح الموعود كمعونة من نور مضاعفة

ثم في هذا الزمن قد أرسل الله لإصلاحنا رسوله الذي جاء خادمًا لعبده الكامل ﷺ، فعلّمَنا كيف نتقرب إلى الله تعالى، ونكون عباده حقًا، ونرفع مستوى عباداتنا، وكيف نستعين به. لذا فسأقوم الآن بتفسير قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على ضوء أقوال المسيح الموعود عليه السلام وتصريحاته.

لو استوعبنا المفهوم الدقيق العميق الذي بيّنه حضرته عليه السلام لهذه الآية، ثم جعلناه بتوفيق الله تعالى جزءًا لا يتجزأ من حياتنا، لصرنا من الذين يسعون لأداء حق عبودية الله تعالى. ولكن هذا لن يتأتى إلا إذا سعينا جاهدين لبلوغ المستوى المطلوب في عباداتنا، ثم استعنّا بالله تعالى

منيبين إليه محرزين هذا المستوى في عباداتنا بتواضع، وعندها فقط سنُعَدّ من الذين يُسمّون عباد الرحمن، ونتحلى بتلك القوة الإيمانية التي يأمرنا الله بها، أو التي تُتوقع من المؤمن.

## التفضلات الرحمانية قبْل سؤالنا

أقدّم لكم الآن نزرًا من الجواهر الغالية من كتز العرفان الذي وهبه الله للمسيح الموعود عليه السلام، فقدّمه لنا في صورة كتبه ومنشوراته. يقول عليه السلام ما نصُّه:

"قدّم اللهُ - عزّ وجلّ - قولَه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةً إلى تفضّلاته الرحمانية مِن قَبْلِ الاستعانة، فكأنّ العبد يشكر ربَّه ويقول: يا رب إني أشكرك على نعمائك التي أعطيتني، مِن قبْل دعائي ومسألتي وعملي وجهدي واستعانتي، بالربوبية والرحمانية التي سبقت سُؤْلَ السائلين، ثم أطلبُ منك قوةً وصلاحًا وفلاحًا وفوزًا ومقاصد التي لا تُعطَى إلا بعد الطلب والاستعانة والدعاء وأنت خير المعطين."

فالمرء حين يصبح عبدًا شاكرًا لله تعالى، متذكرًا نعمه التي أنعمها عليه بفيض رحمانيته سبحانه وتعالى، فإنه يخطو أول خطوة ليعبد الله تعالى ويكون عبدًا حقيقيًا له. فبعد بلوغ هذا المقام يسعى العبد للعبادة، ويقول ربّ إني أريد أن أبلغ أعلى المستويات التي حدّدتها للناس ليصيروا عبادًا لك

حقًا، وأرغب أن آخذ من جميع نعمائك، وأحرز المزيد من الرقي المادي والروحاني، ولكن كل هذا لا يتأتى بدون معونتك، فأَعِنّي، فإذا فعل ذلك انفتحت عليه أبواب نصرة الله أيضًا وقطع المزيد من أشواط الرقي والتطور. فسيدنا المسيح الموعود عليه السلام يوضح لنا أنكم إذا شكرتم الله على نعمه التي منحها إياكم بفيض رحمانيته، انتبهتم إلى ضرورة عبادته سبحانه وتعالى والاستعانة به أيضًا. هذا هو الأمر الأساس والروح الحقيقية التي يجب أن نضعها في الحسبان عند دعائنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

## شكرٌ ودعاءٌ وتبَرُّؤٌ من الحول

ثم يقول حضرته عليه السلام وهو يبين لك لماذا حثّك الله على هذا الدعاء:

"وفي هذه الآيات حثٌّ على شكرِ ما تُعطى، والدعاءِ بالصبر فيما تتمنى، وفرطِ اللَهَجِ إلى ما هو أتمّ وأعلى، لتكون من الشاكرين الصابرين. وفيها حثٌّ على نفي الحَول والقوة، والاستطراح بين يديه سبحانه مترقبًا منتظرًا مُديمًا للسؤال والدعاء والتضرع والثناء، والافتقار مع الخوفِ والرجاء، كالطفل الرضيع في يد الظئر، والموتِ عن الخَلْق وعن كل ما هو في الأرضين."

فحضرته عليه السلام يوضح هنا أن الله تعالى قد حثّنا على أن نكون عباده الشاكرين، وذلك من خلال الدعاء بالصبر كي ندخل، بسبب مثابرتنا على الدعاء بالصبر، في عباده الشاكرين الصابرين الذين يمن عليهم بمننه.

ثم يوضح عليه السلام أن الله تعالى قد حثّ العبد على ألا يزهو بجهده ولا قوته، وإنما عليه أن يلقي نفسه على عتبة الله راجيًا فضله، حامداً سائلاً داعيًا في تواضع وخشوع، أي: على العبد أن ينفي عن نفسه كل قوة وفضل، موقنًا أن الله تعالى هو خالق كل قوة ومالكها، لذا فعليه بطرح نفسه بين يدي الله تعالى، متبتلاً ومنقطعًا إليه تعالى كليةً عن كل وسيلة وقرابة مادية، فإذا فاز بهذا المقام و لم يعتمد على قوة يده، ولا على نفسه، ولا على وسائله، عندها نبع من أعماقه دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

## يقين بفقرك وضعفك، وبغناه تعالى وقوته وكماله

ثم يضيف حضرته عليه السلام وهو يذكّرنا أن على الداعي أن يعترف بكامل ضعفه وعجزه، وعندها فقط يمكنه أن يؤدي حق دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيقول:

"وفيها حثٌّ على إقرارٍ واعتراف بأننا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا بعونك، بك نعمل، وبك نتحرك، وإليك نسعى كالثواكل متحرقين وكالعشاق متلظّين."

أي: يجب أن يكون في قلب الداعي حرقة وألم واضطراب للفوز بوصال الله تعالى شأن الأم التي يحترق قلبها ويذوب على موت ولدها، وشأن العاشق الوَلَهانِ الذي يلتاع قلبه على فراق حبيبه.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"وفيها حثٌّ على الخروج من الاختيال والزَّهْو، والاعتصامِ بقوة الله تعالى وحولِه عند اعتياص الأمور وهجوم المشكلات، والدخولِ في المنكسرين. كأنه - تعالى شأنه — يقول: يا عبادِ، احسَبوا أنفسكم كالميتين، وبالله اعتضِدوا كل حين، فلا يَزْدَهِ الشابُّ منكم بقوّته، ولا يتخصّر الشيخ بهراوته، ولا يفرح الكَيِّسُ بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودةِ فهمه وذكائه، ولا يتّكئ الملهَم على إلهامه وكشْفِه وخلوصِ دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء، ويطرد مَن يشاء، ويُدخل مَن يشاء في المخصوصين."

## عظمة شرّ النفس الأمّارة

ثم قال عليه السلام:

"وفي جملة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةٌ إلى عظمة شرّ النفس الأمّارة التي تسعى كالعَسّارة، فكأنها أفعى شرُّها قد طَمَّ، فجعَل كلَّ سليمٍ كعظمٍ إذا رَمَّ، وتراها تنفُث السّمَّ، أو هي ضِرْغامٌ ما ينكُل إنْ هَمَّ، ولا حولَ ولا قوةَ ولا كسْبَ ولا لَمَّ، إلا بالله الذي هو يرجم الشياطين."

(كرامات الصادقين)

فيبين هنا حضرته عليه السلام أن على الداعي أن يفكر خلال الدعاء أن نفسه الأمّارة تريد أن تدفعه إلى السيئات ومِن واجبه أن يتجنبها، ولكنه

لا يقدر على ذلك بجهده وقوته، إنما الله تعالى وحده القادر على حماية الإنسان من صولة الشيطان وتوفيقه للصالحات. فعلى العبد أن يقوم أمام الله تعالى متواضعًا ويدعوه: إلهي، اليوم لن ينقذني من الشيطان إلا أنت.

فما دام عباد الله المقربون أنفسهم لا يفتأون يدعون الله تعالى بتواضع شديد أنهم لا يستطيعون العيش بدون معونته تعالى، فما بالك بالإنسان العادي؟ فهو بأمسّ حاجة إلى الاستعانة بالله ﷻ. لقد ضرب الله في القرآن الكريم مثال سيدنا يوسف عليه السلام بأنه تضرّع إلى الله تعالى ليحميه من شر النفس الأمارة قائلا: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(يوسف: ٥٤)، أي: أني لا أبرّئ نفسي من الأخطاء، لأن نفس الإنسان جريئة جدًا على دفعه إلى السيئات، إلا الذي رحمه ربي، إن ربي كثير المغفرة والرحمة. فإذا دعا الداعي بهذا التفكير نال نصيبه من فيوض دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. عندما يفكّر الإنسان أنه ما دام عباد الله المقربون يدعونه بهذا الدعاء، فما أحوجَني إلى الأدعية، وعندها يصبح عبدًا حقيقيًا لله تعالى.

## أسرار نادرة لتقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾

### السر الأول:

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"وفي تقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نِكاتٌ أخرى، فنكتب للذين هم مشغوفون بآيات المثاني، لا برَنّاتِ المثاني، ويسعون إليها شائقين، وهي أن الله - عز وجل - يعلّم عباده دعاءً فيه سعادتُهم، فيقول يا عبادِ سَلُوني بالانكسار والعبودية، وقولوا: ربنا إياك نعبد، ولكن بالمعاناة والتكلف والتجشم وتَفْرقةِ الخاطر وتمويهاتِ الخنّاس وبالرويّة الناضبة والأوهام الناصبة والخيالات المظلمة كماءٍ مُكدَّرٍ مِن سَيْلٍ أو كحاطبِ ليلٍ، وإنْ نتّبعُ إلا ظنًّا وما نحن بمستيقنين."

إذًا لقد علّمنا الله تعالى لخيرنا هذا الدعاء الذي حثّنا فيه على الابتهال إليه مؤدين حق العبودية، وإنه تعالى قد وعدنا باستجابته أيضًا إذ أردفه بقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ذلك أن العبد حين يدرك أنه يقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلا أنه لا يقدر على عبادة الله حقًا، فيشعر بالندم والعجز، فيستغيث الله تعالى قائلا: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيغيثه الله تعالى.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني: نستعينك للذوق والشوق والحضور والإيمان الموفور، والتلبية الروحانية والسرور والنور، ولتوشيح القلب بحُلي المعارف وحُلل الحبور، لنكون بفضلك من سبّاقين في عرصات اليقين، وإلى منتهى المآرب واصلين، وفي بحار الحقائق متوردين."

فهذا الدعاء يزيد العبد روحانيةً، وشوقًا للعبادة وحلاوةً منها، وإنابةً إلى الله تعالى خالصةً.

## السر الثاني:

ثم يقول المسيح الموعود الطَّيْلاِ وهو يبين أن دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو معراج المؤمن:

"وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنبيه آخر، وهو أنه يرغّب فيه عبادَه إلى أن يبذلوا في مطاوعته جُهْدَ المستطيع، ويقوموا مُلبّين في كل حين تلبيةَ المطيع. فكأن العباد يقولون: ربنا إنّا لا نألو في المجاهدات، وفي امتثالك وابتغاءِ المرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنانَ بالعُجب والرياءِ، ونستوهب منك توفيقًا قائدًا إلى الرشد والرضاءِ، وإنّا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكتُبْنا في المطاوعين."

أقول: لو فكّرنا ودعونا للمثابرة على الطاعة والعبادة، لسعينا جاهدين للعمل بأحكام الله تعالى ورفعِ مستوى عباداتنا وانتظارِ صلاة بعد أداء صلاة، كما ورد في الحديث الشريف أن المؤمن يفكر في الصلاة التالية بعد أداء صلاة، والجمعة الآتية بعد أداء جمعة، ورمضان القادم بعد انصرام رمضان، لكي يؤدي حق عبادة الله. ثم إنه سيسعى للتحلي بمكارم الأخلاق. وهذا هو معراج العبودية.

## السر الثالث:

ثم إن سيدنا المسيح الموعود الطَّيْلاِ يذكّرنا أن دعاءنا هذا يجب أن يتّسع فيشمل أجيالنا وأسرنا وجماعتنا أيضًا، لكي يتوجه الجميع إلى

وجهة واحدة، ويرثوا أفضال الله تعالى، ويؤدي بعضهم حقوق بعض. فيقول عليه السلام:

"وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنّا خصصناك بمعبوديّتك، وآثرْناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئا إلا وجهك، وإنّا من الموحِّدين. واختار - عز وجل - لفظَ المتكلّم مع الغير إشارةً إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثَّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم ووِدادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسَه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتمّ ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق لنفسه، ولا يفرّق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى يوصي ويقول يا عِبادِ تَهادوا بالدعاء تَهادِي الإخوانِ والمحبّين، وتَناثَثوا دعواتِكم وتَباثَثوا نيّاتِكم، وكونوا في المحبّة كالإخوان والآباء والبنين."

فالمرء عندما يدعو بصيغة الجميع قائلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيجب أن يفكر في أداء حقوق الآخرين، ويقول ما دمتُ أدعو الله تعالى بهذا الدعاء حتى أودي حقوق الله وأتطور روحانيًا، فعلي أن أحب الخير لأخي أيضًا، فمثل هذا التفكير سيساعد حتمًا على خلق مجتمع جميل. لذا يقول المسيح الموعود عليه السلام ينبغي على الإنسان أن يشق على نفسه من أجل أخيه كما يشق عليها لنفسه، ولو فعل ذلك وقام بدعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بهذا التفكير لم يهضم حقوق الآخرين.

## هذه الآية تجمع بين التضرع وبين التدبير

ثم يقول عليه السلام:

لقد جمع الله هنا الدعاء والتدبير معًا، لأن المؤمن يقوم بالاثنين، ذلك أن التدبير بدون الدعاء ليس بشيء، والدعاء بلا التدبير ليس بشيء، فقال عليه السلام: إن الجمع بين التدبير والدعاء هو الإسلام، ومن أجل ذلك قلت إن على المرء أن يتخذ التدبير كما ينبغي ويقوم بالدعاء كما ينبغي من أجل تجنُّب الإثم والغفلة، حيث نجد القرآن الكريم قد راعى هذين الأمرين في أول سوره فقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يشير إلى التدبير، وقد ذكَره أولاً للإشارة إلى أن أول ما يجب على الإنسان هو أن يتخذ الأسباب والتدبير كما ينبغي، ولكن عليه ألا ينسى الدعاء، بل يجب أن يدعو مع التدبير. والمؤمن عندما يدعو الله تعالى قائلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يفكّر فورًا أنه لا يقدر على عبادة الله ما لم يشمله فضله ورحمته، فلا يلبث أن يقول ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وهذا المسألة التي هي بالغة الأهمية لم يذكرها أي دين سوى الإسلام.

فحضرته عليه السلام يوضح أن على المؤمن أن يعمل الاثنين: التدبير والدعاء. عليه أن يتخذ التدبير كما هو حقه، ثم يتكل على الله تعالى ويدعوه، وهذا ما عُلِّمنا في أول سورة من القرآن الكريم حيث قيل

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. إن الذي لا يستخدم ما أعطاه الله من قوى وقدرات فإنه يضيعها ولا يقدرها حق قدرها، بل يرتكب إثما.

فحضرته عليه السلام يوضح أنك إذا لم تأخذ الأسباب والتدابير كما ينبغي وظننت أن الدعاء الذي تقوم به هو وحده سيحل مشكلتك، فهذا إثم. ثم قال عليه السلام:

إن الإنسان يتمنى حتمًا أن يكون صالحًا، ولكن تحقيق ذلك يحتّم عليه الاستعانة بالله تعالى، ومن أجل ذلك أمره الله تعالى بقراءة الفاتحة في صلواته الخمس، فعلّمه أن يقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفيه إشارة إلى أمرين: فقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى وجوب استخدام القدرات وبذل الجهود واتخاذ التدابير لكل عمل صالح، ذلك أن الذي يكتفي بالدعاء ولا يبذل جهدًا فإنه يفشل في مقصده، إذ كيف يمكن للفلاح الذي يبذر البذرة ثم لا يبذل جهدًا بعده أن يرجو ثمرًا، بل إن من سنة الله أن الفلاح إذا اكتفى ببذر البذرة والدعاء، فلا بد أن يُحرَم الثمر.

إن الفلاحين يعرفون جيدًا أنه لا بد لهم بعد بذر البذور من سقي الزرع وتسميده واقتلاع الطفيليات منه، وحمايته من الحيوانات. وهذا القانون ساري المفعول في كل مجال وحتى في الأمور الروحانية أيضًا. وهذا أمرٌ قد تناوله الإسلام بشكل رائع جدًا ولم تذكره أية ديانة سواه، كما وضح حضرته عليه السلام.

## واظِبْ على دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ..﴾

ثم يقول حضرته عليه السلام وهو يحث على المثابرة على هذا الدعاء إذ لا يدري الإنسان متى يستجاب دعاؤه، فهناك ساعات لقبول الدعاء، ثم لا يدري المرء متى يستجاب له، وما يعجب الله من عمله.

لقد قال الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. والذين يدعون الله تعالى بتواضع راجين لعل الله يرضى بتواضعهم وخشوعهم، فإن الله تعالى يكون ناصرهم ومعينهم. لذا فعلى العبد أن يواصل الدعاء والاستعانة بالله بتواضع وخشوع.

ويقول المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر:

اعلموا أن الاستعانة الحقيقية هي بالله فقط، وقد ركّز القرآن الكريم على هذا كثيرا فقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

هذا أمر لا بد من استيعابه جيدًا، أي أن على المرء أن لا يبرح يقف أمام الله تعالى ويسأله بثبات وإلحاح وتكرار. هناك قصة لأحد أصحاب المسيح الموعود عليه السلام لا أذكر اسمه الآن، حيث يقول الراوي: رأيت هذا الصحابي قام لأداء صلاة النفل في المسجد الأقصى بقاديان، فلما وجدت أنه قائم منذ حوالي ثلث ساعة أو أكثر ولا يقوم بأي حركة أخرى، أحببت أن أسمع ما يقول إذ كان يحدث صوتًا خافتًا، فذهبتُ

وجلست بالقرب منه، فإذا هو يردد دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وظل يردده بصوت خافت حوالي ربع ساعة.

هذا هو مدى عرفان هؤلاء القوم الذين نالوا شرف صحبة المسيح الموعود عليه السلام، وهذا هو الفهم والإدراك والعرفان الذي يجب على المؤمن السعي لنيله، لأن هذا يساعده على العبادة حقًا.

## السعادة كلها في اقتداء صفات رب العالمين

ويبين المسيح الموعود عليه السلام الطرق التي تساعد على العبادة كما ينبغي فيقول ما نصه:

"ثم اعلم أن قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على أن السعادة كلها في اقتداء صفات رب العالمين."

إذن، فمن واجب العبد أن يدعو الله تعالى بإلحاح وتكرار، كما عليه أن يتدبر صفات الله ويفهمها، ثم يحاول صياغة حياته على ضوء تلك الصفات الإلهية، وإلا سيُعَدّ ترديده لهذه الكلمات تكرارًا فارغًا كما تفعل الببغاء. لقد نال صحابة الرسول عليه السلام هذا العرفان العظيم لصفات الله تعالى، ثم نال هذا العرفان قوم عاشوا في صحبة المسيح الموعود عليه السلام، وبفضل الله تعالى لا يزال هناك أفراد في جماعتنا يدركون هذا الأمر ويقومون بالدعاء على هذا المنوال.

## ترتيب منظم للتطهّر من الرياء ثم الكسل

ثم يقول المسيح الموعود الطَّيْلاً ما نصه:

"ثم لما كان المانع من تحصيل تلك الدرجات الرياءَ الذي يأكل الحسناتِ، والكبرَ الذي هو رأس السيئات، والضلالَ الذي يُبعِد عن طرق السعادات، أشار إلى دواءِ هذه العلل المهلِكات، رحمةً منه على الضعفاء المستعدّين للخطيّات وترحّمًا على السالكين، فأمَر أن يقول الناس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِيُستخلَصوا من مرض الرياء، وأمَر أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليُستخلَصُوا من مرض الكبر والخيلاء، وأمَر أن يقولوا: ﴿اهْدِنَا﴾ ليُستخلَصوا من الضلالات والأهواء. فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثٌّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةٌ إلى طلب القوّة والثبات والاستقامة، وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ إشارةٌ إلى طلب علمٍ مِن عنده وهدايةٍ مِن لدنه لطفًا منه على وجه الكرامة. فحاصل الآيات أن أمر السلوك لا يُتمَّم أبدًا ولا يكون وسيلةً للنجاة إلا بعد كمال الإخلاص وكمال الجهد وكمال فهم الهدايات، بل كلُّ خادم لا يكون صالحا للخدمات إلا بعد تحقُّق هذه الصفات."

(كرامات الصادقين)

فهذا هو مقام العبد الحقيقي، وعلى المؤمن السعي للوصول إليه.

ويقول المسيح الموعود ﷺ وهو يبين حقيقة الأدعية المستجابة ما نصه:

"اعلمْ أن حقيقة العبادة التي يقبَلها المولى بامتنانه، هي التذلل التام برؤية عظمته وعلوّ شأنه، والثناءُ عليه بمشاهدة مِننه وأنواع إحسانه، وإيثارُه على كل شيء بمحبّة حضرته وتصوُّر محامده وجماله ولمعانه، وتطهيرُ الجنان من وساوس الجِنّة نظرًا إلى جِنانه." (إعجاز المسيح)

## العابد مَن تجذبه محبةُ اللّه

ثم يضيف ﷺ في بيان حقيقة العبادة ويقول:

لقد علّمنا الله تعالى في أول سورة في القرآن أعني سورة الفاتحة دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. المراد من العبادة هنا العبادة المعروفة والعرفان، أي التوفيق للعبادة ولعرفانها. وقد أشار الله تعالى في الجملة إلى ضعف العبد وعجزه.

أقول: لذا علينا أن نردد بألسنتنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وأن نعرف لماذا نردد هذا الدعاء، وهذا العرفان إنما يتيسر لنا إذا كنا متواضعين حقًا كما بين المسيح الموعود ﷺ.

ثم يقول ﷺ:

إن المرء يدعي عبادة الله، لكن هل تتم عبادة الله بكثير من السجود والركوع والقيام فقط، أم هل يمكن أن يسمى الذين يُكثِرون من تحريك

حبات السبحة عابدين لله تعالى. كلا، إنما العابد مَن تجذبه محبةُ الله بحيث يتفانى في الله تعالى وكأنه لم يبق له وجود. يجب على العابد أولاً أن يوقن بوجود الله تعالى يقينًا كاملا، ثم يجب أن يكون مطّلعًا على حسن الله وإحسانه (أي يجب أن يدرك أن ما عنده من نعم إنما هي عطاء من الله تعالى)، ثم يجب أن يبلغ حبُ الله فيه مبلغًا بحيث يجد في قلبه حرقة ولوعة حتى ينكشف حاله هذا من وجهه، وتستولي عظمة الله على قلبه بحيث يبدو له كل العالم ميتًا إزاء الله تعالى، وألا يخشى إلا الله، وأن يجد في تحمل الآلام في سبيله متعة ما بعدها متعة، وأن يجد الراحة كلها في خلوة الله، ولا يطمئن قلبه إلا به سبحانه وتعالى. هذه الحالة هي العبادة. ولكن أَنَّى للمرء أن يصير إلى هذا لحال بدون معونة الله الخاصة، ومن أجل ذلك قد عُلّمنا دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي: ربنا إننا نعبدك، ولكن أنى لنا أن نعبدك حق العبادة إلا إذا أعنتَنا إعانة خاصة. إن عبادة الله باعتباره المحبوب الحقيقي هي الولاية، التي ليس فوقها درجة. ولكن هذه الدرجة لا يبلغها الإنسان بدون معونة الله. وعلامة بلوغ المرء هذه الدرجة أن تصبح عظمة الله مسيطرةً على قلبه، ومحبتُه عز وجل راسخةً في فؤاده، فلا يثق قلبه إلا به، ولا يرضى إلا به، ولا يؤْثر إلا إياه، ويصبح ذِكرُه عز وجل غاية حياته.

## بيان آخر لجوهر العبادة

ثم يبين المسيح الموعود عليه السلام ما هو جوهر العبادة كالآتي:

إن خلاصة أصل العبادة إنما هي أن المرء إذا قام أمام الله تعالى فيجب أن يوقن أنه يرى الله تعالى أو أن الله يراه، وأن يتطهر من كل شائبة وشرك، ويفكر في عظمة الله وربوبيته، ويُكثر من الأدعية، المأثورة وغير المأثورة، ويتوب ويستغفر الله كثيرًا، ويعترف بضعفه وهوانه مرة بعد أخرى، لكي تتزكى نفسه وتكون له علاقة متينة مع الله تعالى، ويتفانى في حبه سبحانه وتعالى. هذه هي خلاصة الصلاة كلها، وقد شملتْها سورة الفاتحة تماما. فجملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعتراف بالضعف والتقصير، وطلبُ العون من الله وحده، والتماس النصرة من الله وحده، ثم الدعاء للسير في سبل الله ورسله والفوز بالنعم التي نزلت على الدنيا بواسطة الأنبياء والرسل، والتي لا يمكن نيلها إلا باتّباع خطواهم، ثم الدعاء بأن يجنّبنا الله تعالى سبيل الذين كفروا برسل الله أنبيائه لكبرهم وشرّهم، فحلّ بهم غضب الله في هذه الدنيا نفسها، أو سبيل الذين اتخذوا الدنيا ونسوا غاية خلقهم منحرفين عن الصراط المستقيم.

## من أعظم معونات الله أن يُكرِّه إلينا الإثم

إن كراهية الإثم نعمة عظيمة، أما وكيف تتيسر هذه النعمة، يقول المسيح الموعود عليه السلام:

ليس هناك نعمة أعظم من أن يكره الإنسان الإثم وأن يحفظه الله بنفسه من المعاصي، ولكن هذه النعمة لا تتيسر لأحد بالتدبير فقط أو بالدعاء فقط، بل لا بد له من الاثنين، كما علّمنا الله تعالى في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي: على المرء أولاً أن يستخدم قواه التي وهبه الله إياها، ثم يسلّم أمره إلى الله قائلا: رب، لقد بذلتُ كل ما كان في وسعي وقدرتي، وهذا هو مفهوم قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ثم يقول ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: رب الآن أستعين بك فيما تبقى من المراحل. إنه لسفيهٌ جدًا مَن لا يستخدم ما أعطاه الله من قدارت وكفاءات مكتفيا بالاستعانة بالله بالدعاء فقط، فأنى لهذا أن يفلح في مرامه.

يقول عليه السلام:

إن الذي يسأل الله تعالى بالدعاء والتدبير هو المتقي وهو الذي يستجاب دعاؤه، أما إذا لم يقم بالدعاء مع جهده فلا فائدة في ذلك أيضًا، كما بيّنت آنفًا.

ثم يقول عليه السلام:

لو أنه قام بالدعاء مع بذل الجهود، ثم صدرت منه زلة، لحفظه الله من مغبتها.

إذًا، لو بذل المرء جهده، وقام بالدعاء أيضًا، فإن الله تعالى يكرِّهُ إليه الآثامَ ويحميه من نتائجها المدمرة أيضًا.

# معنى الاستعانة

ثم إن المسيح الموعود عليه السلام يبين لنا مفهومًا آخر لقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بربطه بصفتي الله الحي والقيوم ويقول:

اعلم أن الله تعالى قد ذكر في القرآن اثنين من أسمائه وهما الحي والقيوم. والحي مَن هو حي ويهب الحياة للآخرين، وأما القيوم فيعني أنه تعالى قائم بذاته كما هو سند حقيقي لقيام الآخرين وبقائهم. إن كل شيء حيٌّ وقائمٌ بفيض هاتين الصفتين الإلهيتين. واسم الحي يقتضي أن يُعبَد الله وحده كما يدل عليه قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، واسم القيوم يتطلب أن يُرجى العون منه وحده، كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فسواء كانت الأمور الدنيوية والترقيات المادية أو الأمور الروحانية والرقي الروحاني فإن الإنسان لا ينتفع بفيوض هذا الدعاء ولن يرث نعم الدنيا والآخرة إلا إذا صار عبدًا حقيقيًا لله تعالى. لقد بينت من قبل أن الشكر على فيوض **رحمانية** الله يرغّب الإنسان في **العبادة** وطلبِ فيوض **الرحيمية**، وهذا هو معنى **الاستعانة**. والواضح أن هذا المفهوم يغطي المعاملات المادية والأمور الروحانية كلها.

## الصلاة مخ العبادة

لقد قلت في بداية خطبتي أن الصلاة مخ العبادة، وقد قال المسيح الموعود عليه السلام في توضيح ذلك ما نصه:

"ومن أفضل العبادات أن يكون الإنسان محافِظًا على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها، وأن يجهد للحضور والذوق والشوق وتحصيل بركاتها، مواظبًا على أداء مفروضاتها ومسنوناتها. فإن الصلاة مركَبٌ يوصل العابد إلى رب العباد، فيصل بها إلى مقام لا يصل إليه على صهوات الجِياد، وصيدُها لا يُصاد بالسهام، وسرُّها لا يظهر بالأقلام. ومن التزمَ هذه الطريقة، فقد بلَغ الحقَّ والحقيقةَ، وأَلْفَى الحِبَّ الذي هو في حُجب الغيب، ونجا من الشك والريب، فترى أيامَه غُرَرًا، وكلامَه دُرَرًا، ووجهَه بدرًا، ومقامَه صدرًا. ومَن ذلَّ للهِ في صلواته أذلّ الله له الملوكَ، ويجعل مالِكًا هذا المملوكَ." (إعجاز المسيح)

## علاج فقدان المتعة في الصلاة

لا جرم أن الصلاة أفضل العبادات وأنها وسيلةٌ تقرّب العبد إلى الله تعالى، ولكن الله تعالى قد صرح بنفسه أن صلوات بعض الناس لا تحظى بالقبول، لأنهم لا يؤدونها حق الأداء. إن بعض الناس يشتكون أنهم لا يجدون المتعة في الصلاة، ولا تستولي عليهم في الصلاة تلك الحالة التي

يجب أن تستولي، مع أنهم أهل صلاح ويريدون أن يتمتعوا بالصلاة. يخبر المسيح الموعود عليه السلام علاج ذلك ويقول:

إن بعض الناس يقولون إنهم لا يجدون المتعة في الصلاة، ولكني أقول لمثل هؤلاء أن يواظبوا على الصلوات ويصلّوا بكثرة. ذلك أن السالك يصاب بالقبض الروحاني في المراحل الأولى في سبيل التقوى، وعليه في هذه الحالة أن يردد قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مرة بعد أخرى. في الكشف يتراءى الشيطان على شاكلة السارق، لذا على العبد أن يستغيث الله تعالى في الصلاة قائلا رب إن هذا السارق يطاردني، فأستنصرك عليه معتصمًا بك. إن الذين يستغيثون الله على الشيطان على هذا النحو ويستعينون به في دعائهم ولا يسأمون ولا يملون، فإنهم يجدون قوة يهلكون بها الشيطان.

ولكن هذه الاستغاثة تتطلب صدقًا وحرقة عظيمين في الدعاء. كيف يتيسر ذلك للمصلي؟ إنما يتيسر له إذا تصور أن الشيطان يهاجمه كالسارق. وكيف تتولد في قلبه هذه الحرقة واللوعة؟ إنما تتولد فيه بالإنابة إلى الله بصدق. إذا تصور العبد أن الشيطان يطارده ويصول عليه كاللص، وأنه يحاول أن يعرّيه كما فعل بآدم حتى ألقاه في الابتلاء، فإن روحه ستصرخ عاليا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

لقد ضربتُ قبل قليل مثالَ الصحابة رضي الله عنهم أو الذين تيسرَ لهم العرفان كيف أنهم كانوا لا يبرحون يرددون في الصلاة هذه الكلمة مرة بعد

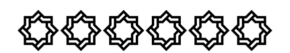
أخرى لكي يودوا حق العبادة، ويلوذوا من الشيطان بملاذ الله تعالى مستعينين به، وليرثوا المزيد من أفضال الله تعالى.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

عليكم أن ترددوا في الصلوات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كثيرًا. إن قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يردّ إليكم فضلَ الله الذي هو متاعكم المفقود. لقد بينتُ مِن قبل أن تكرار هذه الكلمة تنبّه الإنسان إلى عبادة الله.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا أن نصوغ حياتنا بهذه العبارات من نور وهذه الجواهر الثمينة، وأن ندخل في عباد الله الذين يستعينون به كل حين وآن، والذين يعيذهم الله بملاذه، وأن ننتفع من بركات شهر رمضان حق الانتفاع. ركّزوا على الدعاء في هذه الأيام الباقية خاصةً.

**(خطبة الجمعة يوم ١٩ /٢٠١١/٠٨ في "مسجد بيت الفتوح" بلندن)**



# القوى المؤثرة
# للصلاة والدعاء
# والصلة بالله تعالى

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، **آمين.**

## مزيد من الدرر الكامنة في ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

لقد تناولت في الخطبة الماضية تفسير المسيح الموعود عليه السلام لآية ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وهذه منة الله العظيمة علينا أنه وفقنا للإيمان بإمام هذا الزمان الذي تعلمنا منه المفاهيم العميقة للآيات القرآنية وتفسيرها. لقد تلقيت بعد الخطبة الأخيرة رسائل كثيرة أعرب فيها أصحابها أنهم ازدادوا معرفة لمفاهيم آية: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ﴾ ووجدوا في صلواتهم متعة لا مثيل لها بعد تعمقهم في معاني هذه الآية على ضوء ما ورد في الخطبة الماضية، وهذه المتعة واللذة الروحانية لا زالت مستمرة بفضل الله تعالى. كما كتب بعض العرب أيضا: كنا قد قرأنا كتاب "كرامات الصادقين" ولكن عندما سمعنا في الخطبة بعض المقتبسات منه وفهمنا معانيها العظيمة بدا لنا وكأننا لم نقرأه قط.

لا شك أن كلام المسيح الموعود عليه السلام بليغ ولا بد من التعمق فيه مرة بعد أخرى، إذ كلما قرأناه وتعمقنا فيه فتحتْ لنا أبواب جديدة من المعرفة وانكشفت أسرار دقيقة. وبما أن العبد يميل قلبيا نحو الدعاء في رمضان لذلك فإن موضوع الدعاء يأخذ بمجامع فؤاده.

## الرد على من يشكو من الفتور بعد فترة

سوف يستمر اليوم أيضا موضوع الدعاء نفسه من خلال تفسير المسيح الموعود عليه السلام.

لقد قرأت مقتبسا من كلام المسيح الموعود عليه السلام وأذكر لكم أولا ملخصه.

في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثٌّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وفي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةٌ إلى طلب القوّة والثبات والاستقامة. وذلك لأن القوة والثبات لا يوهبان إلا من الله تعالى ولا يسع الإنسان أداء حق العبودية بدونهما، وعليه فمن يبذل سعيه لعبادة الله تعالى ولا يتلقى عونًا منه، فقد يثابر عليها لأيام معدودة ثم تفتر همتُه ويفقد المتعةَ واللذة فيها.

يكتب إلي بعض الإخوة أنهم ركزوا على العبادات بسبب الأجواء الرمضانية المفعمة بالعبادات والطاعات، ولكن ما إنْ انقضى شهر رمضان حتى زالت عنا تلك الحالة، وعُدْنا إلى سابق عهدنا، فنصلي الآن ولكن لا نجد فيها تلك المتعة المعهودة في رمضان. فأقول لهم بأنهم

ماداموا مهتمين بالدعوات والعبادات في رمضان فعليهم أن يكثروا من الدعاء لدوام المتعة والثبات والاستقامة حتى يتمكنوا من أداء حق العبودية المثابرة عليه لأنه ما لم يحظ العبد بالثبات والاستقامة لا يسعه أداء حق العبودية أيضا. ثم يخبرنا المسيح الموعود عليه السلام عن شيء هام يفوز به الإنسان - بعد بذله السعي من أجل أن يكون عبدًا لله وينال الثبات والاستقامة - وهو ما ذكره حضرته في المقتبس الذي قرأته في الخطبة الماضية أي هو معرفته بالقوة التي يجب أن ينالها ومعرفته بكيفية الحصول عليها، ثم معرفته بالذي يجب أن يثبت عليه وما هو مستوى هذا الثبات الذي يجب أن يحرزه؟ فلو لم يعلم العبد هذه الأمور ولو لم يعرف طريق الهداية لتخبط في الظلام وما أدرك نوع العبودية التي يبحث عنها ولا ماهية العبادات التي يريد إقامتها ولا حقيقة الأمور التي يجب عليه الدعاء لأجلها، ولا الطرق التي يريد الاستهداء إليها. فقال حضرته: يجب على العبد المواظبة على ما علمنا الله تعالى من دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لازدياد العلم والمعرفة والهداية، وذلك ليبارك الله تعالى في عبادته وسعيه ويجعله عابدًا حقيقيًا ويهديه إلى طرق الهداية ويوفقه للسير فيها. فإن دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ضروري لإحراز المستويات العليا في الثبات المطلوب والقوة والمعرفة، وهو ما لا بد منه لأداء حق العبودية على الدوام. فإن ملخص الأدعية المذكورة هو أنه يجب على العبد أن لا يرتاح ولا يطمئن ولا يعُدّ نفسه

من الذين ينالون النجاة أو من الذين بلغوا هدفهم وحققوا مستويات عليا في السلوك في دروب محبة الله تعالى - التي يطمح كل مؤمن في الوصول إليها - ما لم يحرز كفاءة تامة في الإخلاص وبذل السعي، وفي فهم معاني الهداية. فإذا كان المؤمن يوطن نفسه على أنه لن يبرح حتى يسلك هذه الطرق المذكورة فسيخطو نحو الأمام دوما، وفي هذه الحالة يتعلق قلبه بالمساجد وتهتم نفسه بالصلوات وبأداء حق صوم رمضان، وتستمر حالة المتعة واللذة في العبادة بعد رمضان أيضا.

## معاني ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ﴾

لقد تم شرح ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾ في الخطبة الماضية إذ ذكرتُ لكم بعض الجوانب الهامة المتعلقة بمعانيها من خلال تفسير المسيح الموعود عليه السلام، أما اليوم فأقدم لكم معاني آية: ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ﴾، وأسلط الضوء على مفاهيمها الرائعة التي توضح لنا أن هذا الدعاء شامل وواسع لدرجة أحاط جميع مجالات حياتنا. وسوف يتضح لكم من المقتبس الأول الذي سأقدمه لكم اليوم **مَن هو جدير بنيل الهداية؟** ومن الذين يكسبون المعرفة بتلك السبل التي تؤدي بهم إلى تلك الهداية ثم يسعون جاهدين للسلوك فيها.

## لا تنسوا نعماء الله كاليهود...

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وهذا المقتبس من "كرامات الصادقين" قال فيه:

"وفي هذه السورة يُعلّم الله تعالى عباده المسلمين.. فكأنه يقول يا عباد.. إنكم رأيتم اليهود والنصارى، فاجتنبوا شَبَهَ أعمالِهم، واعتصِموا بحبل الدعاء والاستعانة، ولا تنسوا نعماء الله كاليهود، فيحلّ عليكم غضبه، ولا تتركوا العلوم الصادقة والدعاء، ولا تَهِنوا مِن طلب الهداية كالنصارى فتكونوا من الضالين. وحثَّ على طلب الهداية إشارةً إلى أن الثبات على الهداية لا يكون إلا بدوام الدعاء والتضرع في حضرة الله. ومع ذلك إشارة إلى أن الهداية أمرٌ مِن لدنه، والعبدُ لا يهتدي أبدًا من غير أن يهديه الله ويُدخله في المهديّين. وإشارةٌ إلى أن الهداية غير متناهية، وترقى النفوس إليها بسلّم الدعوات، ومَن ترك الدعاء فأضاع سُلّمه، فإنما الحريّ بالاهتداء مَن كان رَطْبَ اللسان بالدعاء وذكر ربه، وكان عليه من المداومين."

فهذه هي التعليمات الخاصة بالمؤمن الباحث عن الهداية الحقيقية، وهي تتلخص في أن يتمسك العبد بحبل الدعاء والاستقامة، وألا يدعه ينفلت من يده، وألا يتكاسل في طلب الهداية وإلا فسيضلّ. اعلموا أن الثبات على الهداية لا يتأتى بدون المثابرة على الدعاء والتضرع إلى الله

فإن أبواب الهداية ستبقى موصدة دون مَن لا يدأب على الدعاء، وذلك لأنه لا يسع الإنسان الاهتداء بجهده وقوته بل هو ما ينعم به الله تعالى عليه.

## الهداية سلّمٌ لا تنتهي درجاته

ثم وضح حضرته بأنه لا حدود للهداية ولا نهاية لها حتى لا يخطر ببال أحد أنه أحرز الهداية المطلوبة وصار من المهتدين الكاملين. فإذا لم تكن للهداية نهايةٌ فلا بد أن يتدرج الإنسان إلى مراقيها السامية دوما بواسطة سُلّم الدعاء. فيجب أن يتذكر المؤمن بأن العبادة التي يقوم بها المرء إلى وقت محدد ثم ينقطع عنها لا توجب الهداية الحقيقية، بل لا ينالها إلا الذين تبقى ألسنتهم رطبة بذكر الله تعالى والدعاء له. فلا بد من بذل السعي للمداومة على الدعاء والذكر الإلهي الذي دأبنا عليه خلال شهر رمضان لكي نواصل سيرنا في طرق الهداية ونسعى جاهدين لتحقيق الدرجات العليا فيها.

## معنى الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وهو يوضح معنى ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

"الصراط في لغة العرب هو السبيل المستقيم الذي تقع جميع أجزائه على وضع الاستقامة برعاية المحاذاة، أي أن يكون الطريق بينًا مستقيمًا مؤديا إلى غاية وهدف معلوم، لا عوج فيه ولا ما يبعث على القلق والاضطراب."

أي إنه ليس بطريق يوصل إلى مكان يحتار فيه الإنسان ولا يدري أيتوجه نحو اليمين أم اليسار. بل هو الطريق المؤدي بالإنسان إلى هدفه الحقيقي وهو الوصول إلى الله تعالى. هذا ما يسمى بالعربية "الصراط". أي هو ذلك الطريق الذي ينبه الإنسان على الخطر الموجود فيه ويرشده عند كل منعطف.

## ذوبان النفس على تراب الصراط

ثم يوضح حضرته المعاني الحقيقية لآية: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

"يعني المتصوفةُ من آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفناءَ أي أن تصير روح الإنسان وحماسه وجميع إراداته لله تعالى، ويرِد الموت على جذبات النفس وأهوائها."

قال حضرته: "إن الذين لا يجعلون رغباتهم وإراداتهم خاضعةً لرضى الله تعالى ومشيئته فإنهم في معظم الأحيان يرحلون من هذا العالم بحسرات لعدم تحقق رغباتهم وثوائرهم الدنيوية."

# الاسم الأعظم

قال حضرته: "إن الصلاة التي هي الدعاء حقيقةً، قُدّم فيها **اسمُه الأعظم وهو "الله"**، كذلك فإن **الاستقامة هي الاسم الأعظم للإنسان.** والاستقامة تعني تحقُّق الكمالات الإنسانية." فمن يواظب على الدعاء ويثابر عليه فإنه ينال الكمالات الإنسانية أو يخطو نحوها.

فعندما يدعو الإنسان بدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فلا بد أن يراعي أوامر الله تعالى ونواهيه ويضع نصب عينيه الأعمال التي يجب العمل عليها والتي ينبغي الامتناع عنها، ولا بد أن يسعى للعمل بأحكام القرآن الكريم أيضا ويهتم بأداء حقوق العباد إلى جانب حقوق الله تعالى لأن أداء تلك الحقوق أيضا يؤدي به الوصول إلى الله تعالى. فعند تحقق هذه الأمور يخرج من صميم قلب الإنسان دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويتحلى بالاستقامة المطلوبة، ويسعى لإحراز الكمالات الإنسانية وبالتالي يدخل في كنف رعاية الله تعالى ويرى مشاهد استجابة الدعاء. عندما يخضع العبد أمام الله تعالى مُظهرًا الاستقامة ويدعوه ليثبته على الهدى يوفقْه بالتمسك بالصراط المستقيم.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

الطريق الأمثل للدعاء **هو ما يجمع بين نوعي الاسم الأعظم**، وأن يُرفع الدعاء إلى الله تعالى ولا إلى غيره ولو كان صنمًا صنعته أهواء

الإنسان ورغباته. فعندما يصل العبد إلى هذه الحالة يتمتع بلذة قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

فإن الدعوات التي يوفق لها العبد بعد رفعه **نداء ﴿ربنا الله﴾ والاستقامة عليه** لهي ما تجلب له متعة كامنة في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. فإن الاستقامة شرط لا بد من تحققه، كما يشترط أن يخضع العبد أمام الله تعالى معتبرًا إياه ربًّا له ومالك جميع القوى.

## هذا الدعاء صالح لكل مستوى إنساني

ذكر المسيح الموعود عليه السلام أن هذا الدعاء يحيط بجميع درجات روحانية يرتقي إليها عباده، ومعناه أن هذا الدعاء ضروري للجميع على اختلاف درجاهم الروحانية، يقول حضرته:

"فالحاصل أن دعاء: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُنجي الإنسان من كل أَوَدٍ ويُظهِر عليه الدين القويم، ويُخرجه من بيتٍ قفرٍ إلى رياض الثمر والرياحين. ومن زاد فيه إلحاحا، زاده الله صلاحا. والنبيون آنسوا منه أُنْسَ الرحمن، فما فارقوا الدعاء طُرفةَ عين إلى آخر الزمان. وما كان لأحد أن يكون غنيًا عن هذه الدعوة، ولا معرضا عن هذه الْمُنْية، نبيًّا أو كان من المرسَلين. فإن مراتب الرشد والهداية، لا تتم أبدًا بل لا نهاية لها، ولا تبلغها أنظارُ الدراية، فلذلك عَلّمَ الله تعالى هذا الدعاء لعباده،

وجعَله مدار الصلاة ليتمتعوا برشاده، وليُكمّل الناس به التوحيدَ، وليذكُروا المواعيد، وليُستَخلصوا من شركِ المشركين.

ومن كمالات هذا الدعاء أنه يعمّ كلَّ مراتب الناس، وكلَّ فرد من أفراد الأناس. وهو دعاء غير محدود لا حدَّ له ولا انتهاءَ، ولا غايَ ولا أرجاءَ، فطوبى للذين يداومون عليه بقلبٍ دامي القُرْح، وبروح صابرة على الجُرْح، ونفسٍ مطمئنة كعباد الله العارفين. وإنه دعاء تضمَّنَ كلَّ خير وسلامة، وسداد واستقامة، وفيه بشارات من الله رب العالمين."

وأقدم لكم ملخص قول المسيح الموعود عليه السلام بأن دعاء ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ضروري للجميع مهما كانت مراتبهم الروحانية لأنه يجنّب الإنسان من كل نوع من العوج والأوَد.

إن الشيطان متربص في طريق الإنسان لإغوائه وإضلاله، ولا يحميه من هجماته إلا الدعاء الذي يخرج من صميم قلب الإنسان. إن العالم اليوم يبتعد رويدًا رويدًا عن الدين. وإن هذا الدعاء لهو دعاء عظيم يثبته على الهدى والإيمان بشرط أن يواظب عليه الإنسان ويستعين بالله تعالى. بل لو طلب الإنسان – مهما كان انتماؤه الديني – الهداية من الله تعالى بكل إخلاص لهداه إلى الدين الحق، بل لو طلب ذلك أي ملحد لهداه أيضا بشرط أن تكون نيته صالحة.

يقول حضرته بأن الأنبياء والرسل قد نالوا حب الله تعالى بواسطة هذا الدعاء فمن زاد فيه إلحاحا، زاده الله صلاحا مهما كانت مرتبته

الروحانية. وما كان لمؤمن أن يكون غنيًا عن هذا الدعاء ولا معرضا عنه لأنه دعاء هام وضروري حتى للأنبياء والمرسلين، وذلك لأن مراتب الرشد والهداية لا تنتهي أبدًا، وكل من كانت له علاقة مع الله تعالى كانت له مرتبة من الرشد والهداية. فلما كانت أفضال الله تعالى وإنعاماته لا حصر لها أصبح لزاما على المؤمن تحري الدرجات والمراحل المتقدمة من الهداية، فكلما وصل إلى درجة أو أحرزها وجب عليه البحث عن الأخرى أعلى منها، ولتحقيق ذلك علَّمَنا الله تعالى دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم﴾.

تتحقق وحدانية الله تعالى من خلال هذا الدعاء لأن الإنسان يرجع إلى الله تعالى ويستعين به للوصول إليه وللقاء معه، لأن الله وحده يستطيع أن يكتبنا مع المهتدين.

## قوانين الكون وسننه من الصراط المستقيم

فإن هذا الدعاء ضروري لكل إنسان مهما كانت درجته الروحانية، وهو ضروري لكل من يتحرى سبل هداية الله تعالى ويسعى للوصول إلى المدارج العليا منها.

فالمؤمن الحقيقي هو من يداوم على هذا الدعاء بكل التياع. فلما كان هذا الدعاء ضروريا لأصحاب الدرجات المختلفة فهذا يعني أنه دعاء يقع

على جانب كبير من الأهمية. يسلط المسيح الموعود عليه السلام الضوء على هذا الموضوع فيقول:

"والحقيقة السابعة المذكورة في سورة الفاتحة هي: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ومعناها أن أرِنا الصراطَ وثبِّتنا على الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه قط. وتفصيل هذه الحقيقة أن الدعاء الحقيقي للإنسان هو أن يتحرّى صراطا مستقيما للوصول إلى الله تعالى، لأن القاعدة الطبيعية لنيل كل مرام هي أن يختار المرء وسائل يُنال المرام بواسطتها. ولقد وضع الله تعالى قانونا طبيعيا لتحصيل كل أمر أن يختار المرء الوسائل التي تؤدي إلى تحصيله، وأن يسلك المسالك التي بالسلوك عليها يمكن بلوغ المرام. ولو سار المرء على صراط مستقيم بالضبط واختار السلوك على الطرق التي تؤدي إلى نيل المرام لناله. ولكن لا يمكن قط أن ينال أحد المرام بتركه سبلا هي وسيلة للحصول على تلك البُغية. بل القانون المتَّبع منذ القِدم هو أن هناك طريقا محددا لنيل كل هدف. وما لم يَسِر المرء على ذلك الطريق المحدد لا ينال الهدف. فالشيء الذي يجب الحصول عليه بالجهد والسعي والدعاء والتضرع هو الصراط المستقيم. أما الذي لا يجدُّ في طلب الصراط المستقيم ولا يعير له اهتماما فهو يختار طريقا معوجا في نظر الله. ولو طلب من الله الجنة والراحة في العالم الثاني لردّت عليه الحكمة الإلهية ونادت: يا أيها الجاهل، اُطلب الصراط المستقيم أولا ستنال مبتغاك بسهولة. فالدعاء الذي له الأولوية على

الأدعية كلها ويحتاج إليه طالب الحق بشدة متناهية هو طلب الصراط المستقيم."

## استيلاء التوحيد عليك هو حقيقة الصراط المستقيم

ثم يقول حضرته عليه السلام موضحًا حقيقة الصراط المستقيم وروحه وما هي مستوياته التي ينبغي للمؤمن أن يسعى لتحقيقها:

"وأما حقيقة الصراط المستقيم، التي أُريدتْ في الدين القويم، فهي أن العبد إذا أحبّ ربَّه المنّان، وكان راضيا بمرضاته وفوّض إليه الروح والجَنان، وأسلم وجهه لله الذي خلق الإنسان، وما دعا إلا إياه، وصافاه وناجاه، وسأله الرحمةَ والحنان، وتنبّهَ مِن غشيه، واستقام في مشيه، وخشِي الرحمن، وشغَفه الله حُبًّا وأعانَ، وقوّى اليقين والإيمانَ، فمالَ العبد إلى ربه بكل قلبه، وإرْبه وعقله، وجوارحه وأرضه وحقله، وأعرضَ عما سواه، وما بقِي له إلا ربه وما تبِع إلا هواه."

فدعاءُ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي يجب أن يداوم عليه المؤمن الحقيقي يُكسبه الدنيا والدين أيضا، فقال حضرته عليه السلام: إن ذلك يتطلب منه سعيا وجهدا، والخروجَ من سكراته. فالغفلة عن الدين هي بمثابة السكرة، فاخرجوا منها وتحسسوا من الدين، واخلقوا حب الله في كل شأن لكم وإذا فعلتم ذلك فسوف تتحسّن دنياكم ودينكم ويَصدر منكم كلُّ عمل ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى.

## المصادر الثلاثة للهدى

ثم يقول حضرته عليه السلام: للثبات على الهدى الإسلامي هناك **ثلاثةُ أمور** يجب أن يراعيها المسلم لأن الفوز بالهدى دون ذلك صعب، وهذه الأمور الثلاثة تبين للمؤمن ما هو الهدى الذي يجب أن يسأله ويتخذه. **أولها كتاب الله القرآن الكريم**، الذي ليس عندنا أي كلام أكثر منه قطعيا ويقينا، فهو كلام الله وطاهر من كل شوائب الريب والظن، **والثاني السنةُ ونقصد من السنة أعمالُ النبي ﷺ المتواترة** وهي ظهرتْ مع ظهور القرآن الكريم وستلازمه للأبد، ويمكن أن نقول بتعبير آخر: إن القرآن الكريم قولُ الله سبحانه وتعالى والسنةُ فعلُ الرسول ﷺ، وعادة الله منذ القدم أنه عندما يبعث الرسل لهداية الناس فهم يفسرون القول الإلهي بأفعالهم، فأعمالهم تفسيرٌ لأحكام الله لئلا يصعب على الناس فهْمُ ذلك القولِ، ويتضحَ كل شيء، فهم يعملون بذلك القولِ أنفسُهم ويعلِّمون الآخرين كيف يعملون به، **والوسيلة الثالثة للهداية هي الحديث** ونقصد من الحديث تلك الآثار التي دُونت بعد وفاة النبي ﷺ بمائة خمسين سنة في صورة الحكايات بواسطة الرواة، (*فالأحاديث دُونت بعد وفاة النبي ﷺ بمائة خمسين عاما بواسطة الرواة فلها المكانة الثالثة، فالصحيحة منها التي لا تناقض القرآن الكريم والسنةَ وهي تشكل الذريعة الثالثة لهداية المؤمن*). فقال حضرته عليه السلام: نحن لا نعتبر السنة

والحديث شيئا واحدا كأهل الحديث. على كل حال هذه هي الخطة المفصلة لهداية المؤمن، فعلى المؤمن أن يضع في الحسبان كل هذه الأمور الثلاثة عند الدعاء ويبحث عنها، فبذلك سيتمكَّن من الهداية الحقيقية وتتوثق علاقة العبد بربه.

## خطأ فادح

بعض الناس يتوجهون إلى المشايخ والزهاد، فأحيانا تصلني الشكاوى أن بعض الأحمديين أيضا - متأثرين بغيرهم - يركزون على طلب الدعاء من النساك والآخرين ولا يهتمون شخصيا بالدعاء إلا قليلا، أو هم يثقون بالسحر والشعوذة فيتوجهون إلى الآخرين لإبطاله وأحيانا يتوجهون إلى غير الأحمديين، فإلى هذا الحد يُبدي البعض جهلا، حيث لا ينتبهون إلى أعمالهم ولا يهتمون هم أنفسهم بالدعاء، فهذا خطأ فادح. نشكر الله ﷻ أن أمثال هؤلاء في الأحمديين قليلون جدا، أما الآخرون فقد بلغ شركهم منتهاه، ومع ذلك يعتبرون أنفسهم مؤمنين ومسلمين.

## النتائج المذهلة للاستقامة إلى ذات الله

ثم يقول حضرته عليه السلام: "لقد سُمِّيَ (الإسلام) في القرآن الكريم بالاستقامة، كما علّم (الله) دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ

الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (*فالاستقامة سبيل إذا سار عليها الإنسان بصبر نال الهداية.فقال حضرته: لهذا سمي الإسلام في القرآن الكريم الاستقامةَ من هذا المنطلق، فقال: صراط الذين كسبوا منك النعم وفُتحت عليهم أبواب السماء. ثم يقول*) وليكن معلوما أن استقامةَ كلِّ شيء تُعرَف بالنظر إلى غايته المنشودة.(*وسبب ذلك يدرَك بالتأمل فيه*) والغايةُ المنشودة من وجود الإنسان هي أنه قد خُلق ليكون لله تعالى. (*أي قد خلق الإنسان من أجل عبادة الله* ﷻ) إذن، فالمراد من استقامة الإنسان أن يصير لله تعالى في الحقيقة كما أنه قد خُلق أصلاً للطاعة الأبدية لله تعالى. وحين يصبح الإنسان لله تعالى بكل قواه، تنـــزل عليه من الله نعمةٌ يمكن تسميتها بالحياة الطاهرة، كما ترون أنه إذا فُتحت النافذة إزاء الشمس دخلتْ أشعتُها من خلالها حتما، كذلك إذا توجَّه الإنسان إلى الله مستقيما و لم يبق بينه وبينه ﷻ أيُّ حجاب، فتنـــزل عليه فورا الشعلةُ النورانية فتنورِّه، وتطهِّر كل درن داخلي له فيصير إنسانا جديدا، ويظهر فيه تغير هائل، وعندئذ يقال إن هذا الإنسان اكتسب الحياة الطاهرة. وإن مقام الحصول على هذه الحياة الطاهرة هي هذه الدنيا وإلى ذلك يشير الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ (الإسراء: ٧٣)، أي مَن كان أعمى في هذه الدنيا وحُرم من نورٍ لرؤية الله فسيكون أعمى في الآخرة أيضا."

## الوضوء السلوكي قبل الدعاء

ثم يقول عليه السلام موضحا ما هي الأمور التي ينبغي أن نراعيها ليجاب دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: يجب على جميع المسلمين أي يراعوا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عند دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ سبق ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِيْن﴾ فيجب الشكر على صعيد عملي وهذا ما هو موجود في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فالشكر العملي تفسير لـ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي لا بد من مراعاة الأسباب الظاهرة قبل الدعاء، حيث يجب أن يقوم المرء بإصلاح العقائد والأخلاق والعادات، ثم يدعو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فأصلِحوا عقائدكم أولاً، وانبذوا البدع والتقاليد الخاطئة التي تسربت إليكم، واثبتوا على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وحسِّنوا أخلاقكم وأعمالكم، وبعد ذلك قولوا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وعندئذ سيجيب الله هذا الدعاء. فقد قال حضرته عليه السلام: لقد أراد الله سبحانه وتعالى في تعليم دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يراعي المرء ثلاثة أمور، الحالة الأخلاقية أولا، وحالة العقائد ثانيا، وحالة الأعمال ثالثا.

فيمكن أن تقولوا إجمالا بأنه يجب على الإنسان إصلاحُ حاله بالقدرات التي وهبه الله إياها ثم يدعو الله، فيسعى لإصلاح نفسه بواسطة القدرات التي وهبها الله له من عقل وشعور، قائلا: يا إلهي قد

استخدمتُ ما كان عندي، فاهدِنِي أنتَ، فأنا لا أستطيع أن أهتدي إلا أن تهديني. وهذا لا يعني أن يترك الدعاءَ بعد الإصلاح بل يجب أن يداوم على هذا الدعاء والسعي. فقد قال عليه السلام: إن دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يَصدر من لسان الإنسان وقلبه وعمله، أي يجب أن يَظهر هذا الدعاء من خلال اللسان والقلب وكلِّ عمل للإنسان، وعندئذ سيصير دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دعاء حقيقيا. فالإنسان حين يدعو الله تعالى أن يجعله صالحا، فيستحي، فإن هذا الدعاء وحده يزيل كل هذه المشاكل. فحين يعترف الإنسان بذنبه ويميل إليه قلبه ويسعى للإصلاح، فلا جرم أنه سيهتم بإصلاح نفسه ويستحي من أن يسأل الله تعالى أن يهديه الصراط المستقيم بدون أن يسعى لإصلاح لسانه وقلبه وعمله.

## دعاء يغطي حاجات الدين والدنيا

ثم يقول حضرته عليه السلام: إن دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يحيط بجميع حاجات الدين والدنيا، لأنه لا يستقيم أي أمر إذا لم يسِرْ فيه الإنسانُ الصراطَ المستقيم، فهذا الدعاء ليس للأمور الروحانية فقط بل يجب دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ للحاجات الدنيوية المادية أيضا، فقد قال: باختصار إن الطبيب والمزارع بل كل إنسان يحتاج إلى الصراط المستقيم في كل عمل له فإذا كان الإنسان طبيبا أو فلاحا أو

يمتهن أي مهنة أخرى فهو لمزاولة عمله بحاجة إلى الصراط المستقيم وإذا لم يسِرْ على الصراط المستقيم في عمله فسوف يَفسد عملُه. فأفضل دعاءٍ الفاتحةُ لأنها جامعة وشاملة، فإذا أتقن الفلاح الزراعة فقد نال الصراط المستقيم، والطبيب حين يُنهي الدراسة ويتخرج ويكسب الخبرة الأولية من خلال العمل مع الأطباء المختصين في المستشفيات، فهو يَكسب المراحل المختلفة للصراط المستقيم في عمله، وكذلك المهن الأخرى. وقدَّم مثال الفلاح أنه إذا أتقن الزراعة فقد وجد الصراط المستقيم في عمله ويفوز، وهكذا يجب أن تبحثوا عن الصراط المستقيم المؤدي إلى لقاء الله، فاسعوا للعثور على هذا الصراط المستقيم، ثم ادعوا الله قائلين: يا إلهي أنا عبدك المذنب الضعيف فاهدِني وأرشِدْني، واسألوا الله كل حاجاتكم الصغيرة والكبيرة دون أن تستحيوا فهو المعطي الحقيقي. إن أكثركم دعاء أكثركم صلاحا، فالبر الحقيقي أن تُكثروا الدعاء، فلإزالة القلق والاضطراب لستم بحاجة إلى السحر والرقية كما قلت سابقا، ولا تحتاجون لإجابة الدعاء إلى التوجه إلى قبور الزهاد والأولياء، بل إذا أصلح العبد حالاته مخلصا له وأناب إلى الله سبحانه وتعالى فإن الله وحده لَقاضي جميع حاجات الإنسان.

فهذه هي الغاية من الصلاة التي هي معراج المؤمن، فينبغي أن يدعو فيها المؤمن، ولهذا يُدعى أمُّ الأدعية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

## هو أُمُّ الأدعية وطُلبتْ به كمالات المنعَم عليهم الأربعة

يقول حضرته الطَّيْلا: ادعوا في الصلاة مخلصين دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو أُمُّ الأدعية، فالصلاة معراجُ الأدعية وفيها دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أُمُّ الأدعية، فإذا دعوتم بهذا الدعاء فسوف يفتح الله أبواب فضله.

ثم يقول حضرته: إن الغاية المنشودة والهدف من الحياة الإنسانية طلبُ الصراط المستقيم والسيرُ فيه، فيجب أن يضع كل مؤمن في الحسبان هذا الهدف الذي ذُكر في هذه السورة بهذه الكلمات ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. إن هذا هو الدعاء الذي يردد في كل ركعة من كل صلاة، فبهذا التكرار تتبين أهميته.

ثم قال الطَّيْلا: ليتذكر أبناءُ جماعتنا أن هذا الدعاء ليس أمرا بسيطا هينا وأن ترديد هذه الكلمات باللسان فقط كالببغاء ليس غاية منشودة، بل إنه وصفة ناجعة لجعل الإنسان كاملا ويجب أن يضعها الإنسان نصب عينه كل حين وآن، ويهتم بها كتميمة، ففي هذا الدعاء طلبٌ لنيل أربعة أنواع الكمال، فإذا اكتسب المرء هذه الكمالات الأربعة فكأنه أدى حق الدعاء وحق الهدف من خلقه، وتمكَّن من تأدية حق توظيف القوى والكفاءات التي وهبتْ له. فالدرجات الأربع ذُكرت في ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي النبي، الصديق، الشهيد، والصالح.

## الرقي الروحاني لا يُنال إلا باتّباع سنة النبي ﷺ

ثم يقول حضرته عليه السلام: إنني أودّ أن أخبركم أن الكثيرين يحبون أن يكسبوا هذه الكمالات بواسطة الأذكار والأوراد التي اخترعوها أنفسُهم، لكنني أقول لكم إن الطريق التي لم يتخذها النبيُ ﷺ هو لغو وسخف. فمن ذا الذي عنده خبرة أكبر للسير على صراط المنعَم عليهم من النبي ﷺ الذي تمت عليه جميع كمالات النبوة؟ فالطريق الذي اختاره ﷺ هو صحيح وأقرب، فمن ترك هذا الطريق واخترع غيره مهما كان جذابا في الظاهر فهو يؤدي إلى الهلاك في رأيي، وهذا ما كشفه الله سبحانه وتعالى عليَّ. باختصار إن الحصول على كمالات الناس المنعَم عليهم التي أشير إليها في ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ غايةٌ منشودة لكل إنسان، ويجب على أبناء جماعتنا أن ينتبهوا إلى ذلك بشكل خاص، لأن الله سبحانه وتعالى قد أراد بإنشاء هذه الجماعة أن يُعدّ جماعةً مثلما أعدَّها النبيُ ﷺ لتكون هذه الجماعة في هذا الزمن الأخير شاهدة على صدق القرآن الكريم والنبي ﷺ وعظمتهما.

## ضرورة معرفة ذات الله وصفاته وسبل رضاه

ثم يقول حضرته عليه السلام: اعلموا أنكم لن تكسبوا رضوان الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع أيُ إنسان الوصول إليه ما لم يسِرْ على الصراط المستقيم، وهذا

لن يتأتى ما لم يكسب معرفة الله ذاتًا وصفاتٍ، وما لم يسلك السبل المؤدية إلى مرضاته، وما لم يعمل بتعاليم تتفق مع مشيئته، فإذا كان هذا من واجب الإنسان فعليه أن يؤْثر الدين على الدنيا.

## مراعاةُ ثلاثة أمور في هذا الدعاء

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام عن توسيع نطاق الدعاء:

"فليكنْ معلوما بصدد الدعاء أن الله تعالى قد علّم في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويجب مراعاةُ ثلاثة أمور في هذا الدعاء، أولا: أن يشمل هذا الدعاء بني البشر أجمعين، (*فحين تدعون بهذا الدعاء فأشرِكوا فيه الناس كلّهم أن يهديهم الله أيضا الصراطَ المستقيم ويُنعم عليهم أيضا*) ثانيا: أن يشمل المسلمين كافة (أي أشرِكوهم أيضا)، وثالثا: أن يشمل جميعَ الحاضرين في الصلاة بالجماعة. (أي الذين يصلون معكم في المسجد) فبهذه النية يَدخل في هذا الدعاء البشرُ كلُهم، وهذا ما يريده الله تعالى، لأنه سبحانه وتعالى سمّى نفسه من قبل في هذه السورة ﴿رَبّ العَالَمِيْن﴾، وهذا الاسم يرغّب في مواساة عامة تشمل الدواب أيضا. ثم سَمَّى نفسه ﴿الرَّحْمن﴾، وهذا الاسم يرغِّب في مواساة نوع البشر لأن الرحمة هنا خاصة بالناس. ثم سمّى نفسه ﴿الرَّحِيْم﴾، وهذا الاسم يرغّب في مواساة المؤمنين لأن كلمة ﴿الرَّحِيْم﴾ خاصةٌ بالمؤمنين، ثم سمّى نفسه ﴿مَالِك يَوْمِ الدِّيْن﴾، وهذا

الاسم يوجِّه إلى مواساة الجماعة الحاضرة، لأن يوم الدين هو اليوم الذي تَحضر فيه الجماعاتُ أمام الله. ونظرًا إلى هذا المفهوم الواسع جاء الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فيتبين من هذه القرينة أن هذا الدعاء يشمل مواساة البشر أجمعين. وإن أصل الإسلام هو أن يكون الإنسان مواسيا للجميع.

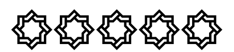
## دعاء لصحة المعرفة

ثم يقول عليه السلام: وفي آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارةٌ وحثٌّ على دعاء صحة المعرفة، كأنه يُعلّمنا ويقول ادعوا الله أن يُريكم صفاتِه كما هي، ويجعلكم من الشاكرين، لأن الأمم الأولى ما ضلوا إلا بعد كونهم عُميًا في معرفة صفات الله تعالى وإنعاماته ومرضاته، فكانوا يُفانُون الأيامَ فيما يزيد الآثام، فحلّ غضبُ الله عليهم، فضُربت عليهم الذلة وكانوا من الهالكين. وإليه أشار الله تعالى في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وسياق كلامه يُعلِم أن غضب الله لا يتوجه إلا إلى قوم أنعم الله عليهم من قبل الغضب،(*فإذا رأى المرء أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليه كثيرا فعليه أن يخاف كثيرا*) فالمراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الآية قوم عصوا في نعماء وآلاءٍ رزقهم الله خاصة واتبعوا الشهوات، ونسوا المنعِم وحقه وكانوا من الكافرين. وأما الضالون فهم قوم أرادوا أن يسلكوا مسلك الصواب، ولكن لم يكن معهم من العلوم الصادقة

والمعارف المنيرة الحقة، والأدعية العاصمة الموفقة، بل غلبت عليهم خيالات وهمية فركنوا إليها (*كما أخبرتكم أن هذا هو حال بعض المسلمين*) وجهلوا طريقهم، وأخطأوا مشربهم من الحق فضلّوا، وما سرّحوا أفكارهم في مراعي الحق المبين. والعجب من أفكارهم وعقولهم وأنظارهم أنهم جوَّزوا على الله وعلى خلقه ما يأبى منه الفطرة الصحيحة والإشراقات القلبية، و لم يعلموا أن الشرائع تخدم الطبائع، والطبيب معينٌ للطبيعة لا منازعٌ لها، فيا حسرةً عليهم.. ما ألهاهم عن صراط الصادقين!"

هذا المقتبس الأخير من كتاب كرامات الصادقين، فهؤلاء الذين لا يؤمنون بإمام الزمان المسيحِ الموعود عليه السلام فهم أيضا ضالّون. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأن ندعوه مخلصين وأن لا يجعلنا من الذين يحلّ عليهم غضب الله بعد أن نالوا الهدى ويَضلون ويدمرون دنياهم وعقباهم، وهبَنا الله صحةَ معرفتِه، وثبتَنا دوما على الصراط المستقيم، وجعل رمضان هذا سبب استمرار أفضاله الجارية والتقدم في الهدى، لنبقى منيبين إليه دوما.

**(خطبة الجمعة يوم ٢٦ /٢٠١١/٠٨ في "مسجد بيت الفتوح" بلندن)**



# رمضان

# وعباد الرّحمن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، **آمين.**

من أسماء الله ﷻ "الهادي". وقد ورد في قاموس "لسان العرب" في هذا الصدد: "قال ابن الأثير: هو الذي بَصَّرَ عِبادَه وعرَّفَهم طَريقَ معرفته حتى أَقرُّوا برُبُوبيّته".

## مواسم لتألق تجليات هذا الاسم

ولكن كيف يريهم الله هذه الطرق، وفي أي أوضاع يريهم إياها؟ إنه يريهم إياها حين ينكرون ربوبية الله ﷿.

أما إنكارهم هذا فله أشكال مختلفة، فحينًا يتخذون العباد آلهةً، كما ألّه المسيحيون عيسى ؑ، وحينًا آخر يصبح البعض آلهة في زعمهم مغرورين بقوتهم وقدراتهم، كما فعل بعض الناس في زمن الأنبياء في الأزمنة القديمة ومثاله فرعون، أو كما يؤلِّه البعض أنفسهم في هذا الزمن أيضا فيعتبرون أنفسهم آلهة متجسدين ويدْعون الآخرين ليسجدوا لقبورهم بعد موتهم، أو كما تزعم القوى المادية الكبرى أنها تملك قوة لن تزول، وهكذا تعتبر نفسها آلهة من دون الله.

باختصار، حين تسود العالَمَ حالةٌ من الفساد الذي لا يكاد ينتهي، يتجلى الله ﷻ بقدرته ويُشعر الدنيا أنه ربُّ العالمين.

## عالم الضلال يقتضي خَلْقَ عالم الهداية ومبدؤه الإمام

يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح هذا الموضوع:

"وأشار الله سبحانه في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه هو خالقُ كل شيء، ومنه كلٌّ ما في السماوات والأرضين. ومِن العالَمين ما يوجد في الأرضين مِن زُمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين، فقد يزيد عالَمُ الضلال والكفر والفسق وتركِ الاعتدال، حتى يملأ الأرض ظلمًا وجورًا ويترُك الناسُ طرقَ اللهِ ذي الجلال، لا يفهمون حقيقة العبودية، ولا يؤدّون حقّ الربوبية، فيصير الزمان كالليلة الليلاء، ويُداسُ الدين تحت هذه اللأواء. ثم يأتي الله بعالَمٍ آخر فتُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض وينْزل القضاء مُبدَّلاً من السماء، ويُعطَى للناس قلبٌ عارفٌ ولسانٌ ناطقٌ لشكر النعماء، فيجعلون نفوسهم كمَوْرٍ مُعبَّد لحضرة الكبرياء، ويأتونه خوفًا ورجاءً بطَرْفٍ مغضوض من الحياء، ووجهٍ مُقبِلٍ نحوَ قبلةِ الاستجداء، وهمّةٍ في العبودية قارعةٍ ذروةَ العلاء، ويشتدّ الحاجة إليهم إذا انتهى الأمر إلى كمال الضلالة، وصار الناس كسباعٍ أو نَعَمٍ مِن تغيُّرِ الحالة، فعند ذلك تقتضي الرحمة الإلهية والعناية الأزلية أن يُخلَق في السماء ما يدفع الظلام، ويهدم ما عمر إبليسُ وما أقام، من الأبنية والخيام. فينْزل إمامٌ من الرحمن، ليذُبّ جنودَ الشيطان. ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان، ولا يراهم إلا مَن أُعطِيَ له عينان، حتى غُلَّ أعناقُ الأباطيل،

وانعدمَ ما يُرى لها نوعُ سرابٍ من الدليل. فما زال الإمام ظاهرًا على العِدا، ناصرًا لمن اهتدى."

(إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية ج ١٨ ص ١٣١-١٣٣)

فهذا هو إلهنا الذي يتجلى بصفته "الهادي" لإرشاد الناس إلى الهداية.

## تأتي تجليات الهداية القوية لكبح الفساد وتنبيه العقول

ولكن كما قال المسيح الموعود عليه السلام إن علامات الغلبة تنكشف على الأعداء من خلال نصر الله تعالى لحزب المهتدين، وكبْحِهِ جماح قوة حزب المفسدين، بل يُكره الله تعالى تلك القوى المفسدة على التقهقر. فمثلا رأينا في زمن المسيح الموعود عليه السلام شدة غزو المسيحية للمسلمين حيث كانت تحرز نصرا تلو نصر في كل موطن، حتى وقع المسلمون في الهند في شراكها وبدأوا يتنصَّرون دون وازع ورادع. وكان القساوسة يحلمون بانتصارهم الساحق في هذه البلاد. فوضع المسيح الموعود عليه السلام الحد لغزوهم، وليس هذا فحسب بل أجبرهم على التراجع والتقهقر. ثم اضطروا للاعتراف بأن أفريقيا أيضا.. التي كانت في قبضتهم من قبل.. قد أوْقَفَ تقدُّمَهم فيها أبناءُ الجماعة الإسلامية الأحمدية، بل أجبروهم على الفرار من الميدان.

هكذا يتجلى الله بربوبيته لإرشاد الناس إلى طرق الهداية، ويبعث إمامًا من عنده لهذا الغرض. ولكن "لا يراهم إلا من أُعطِيَ له عينان"، كما قال المسيح الموعود عليه السلام، ولا يقبل الإمامَ من كانت عينه دنيوية فقط، وينكبّ على الأشياء الدنيوية فحسب، إنما يقبله مَن له عين روحانية ويتألم من أجل الدين.

## انتشار الضلال والفساد في هذا العصر

إن كثيرا من المشايخ -الذين يدّعون أهم علماء- يُضلّون الناس ويقودوهم إلى طرق معوجَّة لعدائهم للمسيح الموعود ﷺ، ويضلّون الأمة الإسلامية بعلمهم المزعوم، ومن ناحية ثانية يعترفون أن الفساد قد عمّ المسلمين، و لم يبق فيهم من الدين إلا اسمه. إهم يؤكدون على ضرورة الخلافة، ولكنهم قد تخلَّوا عن التفكير في ضرورة الحلقة الأولى للخلافة وهي بعثة المسيح والمهدي في هذه الأمة، لأن الخلافة لن تقوم إلا بعد بعثته. إهم متشبثون بعقيدهم أن المسيح الناصري ﷺ موجود في السماء حيًّا وهو الذي سوف ينـــزل في الأمة وعندها سينتشر الدين بالتعاون المتبادل بينه وبين المهدي. هذه هي العقيدة التي يتمسكون بها بسبب فهمهم الخاطئ للأحاديث.

## منظومة الهداية بالمقابل وضرورة ابن مريم ﷺ

ومهما يكن فإن قيام الخلافة محال ما لم يعترفوا بضرورة نبي، وإلا سيبقون على حالتهم السيئة التي تعودوا على الشكوى منها، كما يكتب المعلقون في الجرائد بين حين وآخر، ويذكرها المشايخ أيضا في خطاباهم. وبما أن الله تعالى كان سيبعث المسيح والمهدي من هذه الأمة، فقد علّمنا دعاء بهذا الصدد. ولكنهم لو لم يعترفوا بضرورة نبي وظلّوا يدعون بهذا الدعاء مجرّدًا من مضمونه، فماذا عسى أن يفعل الإنسان تجاههم؟ الحق أن الله تعالى قد أرشدهم إلى طريق سديد وهو أن عليكم أن تدعوني كما علّمتُكم لأستجيب لكم.

يقول المسيح الموعود ؑ في هذا الصدد:

"ولكن هذه النبوّة المحمّدية ليست بعاجزة عن الإفاضة الذاتية، بل إن فيضها يفوق سائر الرسالات، وطاعة هذه النبوّة تُوصِل المرء إلى الله بأسهل الطرق، وباتّباعها يتشرّف المرء بالمحبّة الإلهية، والمكالمة والمخاطبة، أكثرَ مما كان مُتاحًا من قبل... عندما تبلُغ المكالمة والمخاطبة الإلهية درجةَ الكمال كيفًا وكمًّا، بحيث لا تشوبها شائبة ولا نقص، وتكون مشتملةً على الأمور الغيبية بصورة بيّنة.. فإنها بتعبير آخر تسمّى بالنبوة، الأمر الذي اتفق عليه الأنبياء جميعهم.

## سعة دعاء الفاتحة: اهدِنا

فمن المستحيل للأمة التي قيل بحقها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ والتي عُلّمتْ دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾، أن يبقى جميعُ أفرادها محرومين من هذه المرتبة الرفيعة ولا ينالها فرد منهم. ولو كان الأمر كذلك لكانت الأمّة المحمّدية ناقصة يعوزها الكمال، ولصار أفرادها كلهم كالعميان، بل لكانت قوة فيضان الرسول عرضةً للطعن، ولاعتُبرتْ قوّته القدسية ناقصة، ولصار من العبث دعاءُ سورة الفاتحة الذي علّمنا الله إياه وأمرنا أن ندعو به في صلواتنا الخمس." (الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ١١- ١٢)

يعني أن الله تعالى لمـّـا قال لنا إنكم خيرَ أُمّةٍ أُخرجتْ للناس، أمَرنا أيضا أن ندعوه: ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ﴾ ليرشدنا دائما إلى الصراط المستقيم

الذي سلكه المنعَم عليهم، وأخبرنا ما هي تلك الإنعامات. وهي ليست إلا النبوة والصديقية والشهادة والصلاح، فإذا كان لا يوجد في الأمة المسلمة شخص واحد يمكن أن ينال النبوة، فيطْلعه الله تعالى على الأنباء الغيبية، ويشرِّفه بمكالمته.. فهذا يعني أن الله تعالى لا يستجيب لنا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي ندعو به مرات كثيرة في صلواتنا الخمس كل يوم، ويدعو به كل مسلم ملتزم بالصلاة في جميع أنحاء العالم.

ويقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ (الخليفة الثاني للمسيح الموعود ؑ) إني أنصح الناس دائما أن يدعوا بهذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إذ لا حرج في أن يتضرع الإنسانُ إلى الله تعالى لكي يهديه إلى الحق والصواب، وقد أرشدهم الله تعالى إلى الحق فعلاً نتيجة الدعاء. فلو دعا أحد متخليًا عن أنانيته وأفكاره الراسخة في قلبه مسبقًا، غيرَ متقوقع على نفسه، ومنــزِّهًا قلبه عن عناد وضغينة ضد المسيح الموعود ؑ لهداه الله تعالى. وإلا لكانت تهمة كبيرة على الله تعالى أن يقول لنا من ناحية ادعوني أستجب لكم كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فنعلن كل يوم أن الله تعالى قد استجاب دعاءنا الفلاني المتعلق بالأمور الدنيوية فآتانا كذا وكذا من الأشياء، ولكنه ﷻ من ناحية أخرى لا يسمع أدعيتنا لرفع مستوانا الروحاني، مع أنه تعالى هو الذي علّمنا تلك الأدعية بنفسه، وقد أمرنا أن نكثر منها من أجل الهدى، ولاسيما حين كان الدين بحاجة إلى هادٍ يجدده. ففي هذه الحالة تستولي على الإنسان حالة معينة من

أجل القيام بالدعاء كما جاء في مقتبس قرأته عليكم من كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

## جدوى هذا الدعاء اليقينية وموسم الإجابات

فهل من المعقول أن يدعو الإنسانُ اللهَ تعالى مذكِّرًا إياه وعده هذا وقائلا: ربّ إنك تبعث الهداة إلى الصراط المستقيم في مثل هذه الحالة، فيردّ الله عليهم أَني سأستجيب كل دعاء لك، إلا هذا الدعاء؟ كلا، إنها تهمة كبيرة في حق الله تعالى. أي شك في أن الحالة المزرية للأمة الإسلامية لا تزال تتحول من سيئ إلى أسوأ. فهل يُعقل بعد ذلك أن يقول الله تعالى للمسلمين: لا شك أنكم خير أمة أُخرجتْ للناس، وأن حالتكم لا تزال تتردى يومًا فيومًا، ولكنني لا أبالي بكم مهماترديتم، ولا بأس لو صعد الضجيج والعويل من كل حدب وصوب، ولا بأس أيضا لو لم يبق من الدين ولا من الإيمان شيء، فإني لن أستجيب دعاءكم هذا، ولن أرسل إليكم هاديا يرشدكم في أمور دينكم؟

لا يمكن أن يقول الله تعالى إني لن أفعل شيئا لهدايتكم مهما أكثرتم من الدعاء والابتهال من أجلها، فقد جفّت الأقلام، وقد أوصدت الآن في وجوهكم كافة أبواب الهدى.

غير أن من المحال- كما أعلن المسيح الموعود عليه السلام مرارا وتكرارا للمعارضين- أن يأتي مهدي أو مسيح سواه حتى ولو انقضت حياتكم كلها في الدعاء والابتهال، وتآكلت أنوفكم، وانقضت حياة أولادكم وأولاد

أولادكم في انتظار هاد أو مسيح سواه، فإن مَن كان آتيًا فقد أتى، ولا مناص من الإيمان به.

فعلى المسلمين الآخرين أن يتأملوا في حالتهم ويحاسبوا أنفسهم، وبدلاً من صبّ الظلم على المسلمين الأحمديين يجب أن يطلبوا من الله الهدى بحسن نيّة. إن المسلمين الأحمديين يتعرضون لمظالمهم بين حين وآخر، إذ يخترع هؤلاء الظالمون طرقًا جديدة لاضطهادهم، ويستخدمون أساليب جديدة لإيذائهم، ظنًا منهم أن بعضا من الأحمديين قد يتراجعون عن دينهم. ولكني أقول لهم إنهم لا يستطيعون القضاء على الأحمدية وهذا قد أصبح معروفا لديهم. فقبل بضعة أيام ماضية اخترعوا خطة جديدة لتخويف الصِّبْية الأحمديين، حيث اتهموا هؤلاء الصِّبْية الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤و ١٦ عاما أنهم قد أساؤوا – والعياذ بالله – إلى النبي ﷺ بكتابة اسمه الطاهر في المراحيض وأماكن وسخة أخرى.

الحق أن هؤلاء المعارضين هم المحرومون من البصيرة الروحانية، ثم يرمون المسلمين الأحمديين بالتهم، إذ من المحال أن يقوم بمثل هذه التصرفات إلا هؤلاء المحرومون من البصيرة الروحانية، الذين لا يدركون سمو مكانة النبي ﷺ. أما المسلمون الأحمديون فلا يمكن أن يتصرف هكذا حتى ولد صغير منهم، ناهيك عن هؤلاء الصِّبْية الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٦ عاما. لقد أرشدنا المسيح الموعود والمهدي المعهود إلى أرقى مستوى لحب الرسول العربي ﷺ، وأعطانا تعليمًا لا يمكنهم تصوره.

على أية حال، أدعو الله تعالى أن يوفق عامة المسلمين.. حيثما كانوا في العالم.. ليعودوا إلى صوابهم، فيرتدعوا عن جعل المسلمين الأحمديين عرضة لفظائعهم، ووفقهم للخضوع أمام الله تعالى تحريًا للهدى.

## رقم هذه الآية يوافق سرًا هاديًا

يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح سورة الفاتحة:

"الآية السادسة في هذه السورة هي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وكأن فيها إشارة إلى أن الظلمة السائدة في الألف السادس ستَقتضي هداية سماوية، وستَطْلب الفطرةُ الإنسانية السليمة هاديا من الله تعالى.. أي المسيحَ الموعود." (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية ج ١٧ ص ٢٨٤، الهامش)

فالألف السادس هو عصر المسيح الموعود عليه السلام، وفي هذا العصر ينتظر الناس هاديا، ولكنهم لا يريدون أن يقبلوا مَن أيدته السماء والأرض بكل قوة وشدة.

لقد تبين من كلام المسيح الموعود المذكور أعلاه أعني قوله عليه السلام: "ستَطْلب الفطرة الإنسانية السليمة هاديا من الله تعالى أي المسيحَ الموعود" أن كثيرا منهم لا يملكون فطرة سليمة. فما دام هؤلاء يفتقرون إلى فطرة سليمة، فكيف يمكننا، نحن أيضا الذين وفقهم الله تعالى للإيمان به كمسيح موعود عليه السلام، أن نرفضه إرضاءً لهم؟

يقول المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "الخطبة الإلهامية":

" ووالله ليس في القرآن الذي هو أهل الفصل والقضاء إلا خبر ظهور خاتم الخلفاء من أمّة خير الورى. فلا تقْفوا ما ليس لكم به علم وقد أُعطيتم فيه من الهدى. ولا تُخرِجوا من أفواهكم كلماتٍ شتّى، التي ليست هي إلا كسَهْمٍ في الظلمات يُرمَى. وإنّ هذا الوعد وعدُ حقّ فلا تغُرَّنّكم ما تسمعون من أهل الهوى. وقد أُشير إليه في الفاتحة مرة أخرى، وتقرأون في الصلاة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم تستقرون سبُل الإنكار وتُسِرّون النجوى. ما لكم تدوسون قول الله تحت الأقدام؟ ألا تموتون أو تُترَكون سُدًى؟" (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية ج ١٦ ص ١٠٩- ١١٠)

إلى هنا كان الخطاب إلى الأغيار.

لقد بين المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "سفينة نوح" في سياق تفسير جميل لقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أن هذه الآية تدل على مجيء المسيح المحمدي من أمة محمد ﷺ. يقول حضرته ما تعريبه:

"من هو الناجي؟ هو ذاك الذي يوقن بأن الله حق، وأَن محمّدا ﷺ شفيع بينه وبين الخلق كله، وأن لا مثيلَ له ﷺ مِن الرسل، ولا مثيلَ للقرآن من الكتب تحت أديم السماءِ، وأنه تعالى لم يشأ لأحد أن يخلد إلى الأبد، إلاّ أنّ هذا النبي المصطفى حيّ إلى أبد الآبدين، وقد مهّد تعالى لحياته ﷺ الأبدية إذ جعل إفاضة شريعته وروحانيته مستمرةً إلى يوم القيامة، وببركة فيضانه ﷺ الروحاني هذا أرسل إلى العالَم أخيرًا هذا المسيحَ الموعود الذي كان مجيئه ضروريًا لتكميل بنيان الإسلام، إذ كان ضروريا أن لا تنتهي هذه الدنيا حتى تؤتى الأُمةُ المحمدية مسيحًا روحانيًا كما أُوتيت الأُمةُ الموسوّية مسيحًا من

قبل. وإلى ذلك تشير الآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾." (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩ ص ١٤)

فكدليل على أفضلية الإسلام والنبيِّ ﷺ على جميع الأديان والرسل، لا بد من أن يستمرّ فيض شرعه ﷺ وروحانيته إلى يوم القيامة، وأن يُبعث المسيح الموعود أيضا من أمته ﷺ كما حدث على أرض الواقع. كما لا بد أن يكون المهدي هو الآخر من أمته ﷺ، إذ إنهما ليسا بشخصيتين مختلفتين، وهذا واضح في حديث النبي ﷺ أيضا. إذًا فلا مناص للمسلمين من الإيمان به عليه السلام نبيًا مبعوثا من عند الله تعالى.

## دعاء لطلب قائد مرشد للنظام الروحاني وطلب معيته

وقد لفت المسيح الموعود عليه السلام انتباه المسلمين إلى أن قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يتضمن الأمرَ بالإيمان بالإمام المبعوث، فقال عليه السلام في كتابه "ضرورة الإمام":

"فكما أن القرآن الكريم أوصى بطاعة أوامر الملِك أو الحاكم من أجل التمدن المادي، كذلك قد أوصى بنفس النصيحة من أجل التمدن الروحاني أيضا، وإلى ذلك أشار الله سبحانه وتعالى حين علَّمنا دعاءَ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾."

أي كما أن النظام الدنيوي يتطلب قائدا وملِكًا حاكمًا، كذلك للنظام الروحاني أسلوب خاص، ولتسيير ذلك النظام الروحاني علّم الله تعالى دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾..

ثم يقول الطَّيْلاِ: "فيجب أن نتدبر في الآية. وعلى العموم، ليس هناك مؤمن أو إنسان بل حتى حيوان محروم من نعمة الله عَجَلِكَ، ومع ذلك لا نستطيع القول إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأمرنا هنا باتّباعهم، فثبت أن هذه الآية إنما تعني أن ندعو الله أن يدلنا على صراط الذين قد نزل عليهم مطر النعمة الروحانية على وجه الكمال والتمام لكي نتبع خطواهم."

فهذا الدعاء ليس في حق الحيوانات ولا لأي مخلوق آخر، بل كما يقول حضرته الطَّيْلاِ إن المراد من هذه الآية أن ندعو الله أن يوفقنا للسير على صراط الذين قد نزلت عليهم النعمة البالغة كمالها ومنتهاها لكي نقفو آثارهم ونترسم خطاهم.

ثم يقول: "فهذه الآية إنما تعني: عليكم أن تكونوا مع إمام الزمان. وليكن معلومًا أن كلمة "إمام الزمان" تشمل النبي والرسول والمحدَّث والمجدِّد، غير أن الذين لا يأمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لإرشاد الخلق وهدايتهم.. أي الذين لا يأمرهم الله بنفسه بإرشاد الناس وهداية خلق الله كما لم يعطهم تلك الكمالات (اللازمة)، فهم لا يمكن أن يسمَّوْا إمام الزمان، وإن كانوا قد أحرزوا درجة الأولياء أو الأبدال." (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية المجلد ١٣ ص ٤٩٤-٤٩٥)

إذًا، فليس هناك إمام زمان إلا مَن سماه الله إمام الزمان.

ففي هذه العبارة قد أوضح المسيح الموعود الطَّيْلاِ أن الأولياء والأبدال لا يرتقون إلى درجة الإمامة، فمهما قطع الإنسان أشواطًا في مجال البر وتقرَّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا أنه لا يحرز درجة الإمامة ما لم يعطه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفسُه تلك

الدرجة. فإمام الزمان هو مَن وهبه الله هذه المكانة حصْرا، وإن إمام هذا الزمن هو مَن أرسله الله ﷻ مسيحا موعودا ومهديا معهودا.

## دعاء الفاتحة متاح لكل الأمم وعلاقته بالمسيح الموعود

ولكن هذا لا يعني أنه اكتفى بهذه الدعوى وانتهى الأمر، بل كما بينت لكم في الخطب الماضية، فإن الله تعالى قد أيده بآيات أرضية وسماوية. فدعاءُ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لا يتضمن الهداية للمسلمين فحسب، بل إن أتباع الديانات الأخرى -سواء أكانوا مسيحيين أو يهودا أو هندوسا- إذا دعوا بهذا الدعاء بحسن النية، فسوف يهديهم الله تعالى. فكما أخبرتُكم أن المصلح الموعود رضي الله عنه (الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام) قد كتب أنه نصح الكثيرين من غير المسلمين بترديد هذا الدعاء بتدبر وإمعان، لأنه لا يخص المسلمين وحدَهم، بل يمكن أن يدعو به أيُّ إنسان من أي ديانة، فعمل كثيرون منهم بنصيحته، فهداهم الله إلى الصراط المستقيم، ووفَّقهم لقبول الأحمدية عن طريق الرؤى.

فإذا كان الله يهدي غير المسلمين نتيجة قيامهم بهذا الدعاء فما الذي يمنعه من أن يهدي به المسلمين؟ فلا شك أن عدم إيمانهم يعود إلى سوء نياتهم. فثمة علماء ومثقفون كبار ملتزمون بأداء الصلوات في الظاهر، لكنهم محرومون من الهداية. فلكي يفوز المرء بالهداية من عند الله ﷻ لا بد له من التقدم إليه بقلب مخلص كما يقول الله ﷿: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)...

على كل حال، لو تضرع هذا الرجلُ أيضا أمام الله بهذا الدعاء بحيادٍ وتخلَّى عن كل تعصب، وابتهلَ إليه ﷻ ملتاعًا للسير على الصراط المستقيم، فليس بمستبعَدٍ أن يهديه الله أيضا، بشرط أن يكون قلبه صافيا وطاهرا. إذا كان محبّو الإسلام يريدون غلبة الإسلام فليتذكروا أن هذا منوط بالمسيح والمهدي الذي قد ظهر، ولن تنجح أي محاولة بعيدا عنه وخارجَ جماعته. ولقد أعلن المسيح الموعود عليه السلام بذلك بناء على وحي الله ﷻ، وشاهدنا صدق ذلك منذ ١٢٠ سنة مضت بفضل الله تعالى.

يقول حضرته عليه السلام: "لقد أوحيتْ إلي قبل ٢٠ سنة تقريبا الآية القرآنية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّهِ﴾ (الصف:١٠)، وقد انكشف عليّ معناها كالآتي: أني أُرسلت من الله ﷻ لكي يجعل الإسلامَ غالبًا على جميع الأديان بيدي. والجدير بالذكر هنا أن هذه نبوءة عظيمة في القرآن الكريم، وقد أجمع العلماء الباحثون على أنها تتحقق على يد المسيح الموعود. ولم يطبِّق أحد من الأولياء والأبدال قبلي هذه النبوءة على نفسه، كما لم يعلن أحدهم أن هذه الآية قد أُوحيتْ إليه في حقه. لكن عندما حان وقتي أوحيتْ إلي هذه الآية وأُخبرتُ أني أنا مصداقها، وسيثبت فضل الإسلام على الأديان الأخرى على يدي أنا وفي عهدي أنا. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية ج ١٥ ص ٢٣١-٢٣٢)

## تسلسل ترتيبات الله المحكمة

ثم يقول عليه السلام:

"إن ذلك الإله الذي أرسل رسوله قد أرسله بأمرين: **أوّلهما أنه شرّفه** بنعمة الهداية *(أي وكَّله بهداية الناس)*.. بمعنى أنه وهبه عيونا روحانية لمعرفة طريقه *(أي وهبه الله العين الروحانية لتّلقي تلك الهداية ليهدي بها الآخرين)* وجعله متميزا بالعلم الروحاني *(أي وهبه من لدنه علمًا دون أي جهد منه وقد أعطاه الله إياه هبة منه)* ونوَّر قلبه بالكشوف والإلهامات. وهكذا أيده ﷻ بنفسه لأداء حق الواجب عليه من المعرفة الإلهية والفوز بحبه ﷻ وعبادته. ولهذا السبب سمّاه المهدي. **والأمر الثاني الذي أُرسلَ به هو شفاء المرضى الروحانيين** بدين الحق.. أي إزالة الشبهات والشكوك والوساوس من القلوب بحل مئات المشكلات والمعضلات المتعلقة بالشريعة. فمِن هذا المنطلق سمَّاه عيسى.. أي شافي المرضى. فغاية القول إن هناك كلمتين في هذه الآية وهما: "بالهدى" و"دين الحق"، وتوضح أولاهما أن ذلك المبعوث مهديٌّ ومطهَّرٌ بيد الله ﷻ وأن الله هو معلّمه الوحيد، بينما تكشف الكلمة الثانية وهي "دين الحق" أن ذلك المبعوث هو عيسى، وقد وُهب له العلم لإبراء المرضى وتنبيههم إلى أمراضهم، وأُعطِيَ دينَ الحق لكي يتمكن من إقناع المريض من كل الديانات ثم ليبرئه، وليرغِّبه في مستشفى الإسلام، لأنه ما دام مكلَّفا بمهمة إثبات محاسن الإسلام وفضله على جميع الأديان من كل النواحي، **فكان من الضروري أن يوهب له علم محاسن الأديان وعيوبها** *(أي يوهب له علم يتمكن به من معرفة محاسن الأديان الأخرى ومساوئها)*، **وأن توهب له قدرة خارقة لإقامة الحجج** *(أي توهب له البراهين والآيات الدائمة الخالدة)* **وإفحامِ الخصم** *(أي قوة الرد على تساؤلاتهم بالحجة والبرهان)*

ليتمكن من إثبات حسن الإسلام من كل النواحي، **ويقدر على علاج الأمراض الروحانية بكل أسلوب ممكن**. وباختصار فقد وُهِب المصلحُ القادم الذي هو خاتم المصلحين ميزتان: **أولاهما عِلْمُ الهدى**.. الذي يشير إلى اسمه "المهدي" الذي هو مظهر للصفة المحمدية.. أي أنه قد أُوتيَ علمًا رغم كونه أميًّا.. *(أي تعليم الله إياه فهذه هي علامة المهدي)*، **وثانيتهما: تعليم دين الحق الذي يشير إلى أنفاس شافية** *(أي فيه إشارة إلى الشفاء الروحاني)*.. أي تزويده بكل نوع من القوة لدفع الأمراض الروحانية ولإتمام الحجة. وصفةُ "عِلْم الهدى" تدل على الفضل الذي يوهب من الله بدون واسطة أي إنسان، كما تدل صفة "عِلْم دين الحق" على الإفادة وسكينة القلوب والعلاج الروحاني." (الأربعين ٢، الخزائن الروحانية مجلد ١٧ ص ٣٥٦)

هذه هي مكانة المسيح والمهدي، الذي أرسله الله في هذا الزمن لهداية العالم وإحياء الإسلام من جديد، لكي ينكشف للعالم التعليمُ الإسلامي الساطع. نسأل الله تعالى أن يوفق العالم لقبول هذا المسيح والمهدي، ويوفقنا نحن أيضا أن نثبُت على الطريق الذي نسلكه عاملين بتعليم هذا المهدي المبعوث من الله الهادي، وألا نتعثر أبدا مواصلين السير إلى الغاية المنشودة التي تؤدي إلى رضوان الله ﷻ.

**(خطبة الجمعة يوم ٢٠٠٩/٢/٦ في مسجد بيت الفتوح بلندن)**



# الدعاء

# يولِّد الصلاة الحقيقية

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، **آمين.**

## كنوز دعاء اهدنا الصراط المستقيم

بصدد دعاء ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ﴾ بينتُ لكم في الخطبة الماضية على ضوء أقوال المسيح الموعود عليه السلام المليئة بالمعارف أن هذا الدعاء يتضمن نبوءة عن بعثة المسيح الموعود، وأنه سيُبعث من الأمة المحمدية، وأنه لا بد من الإيمان بإمام الزمان، ولذا قلت إن من واجب المسلمين أن يُمعنوا النظر في هذا الدعاء، لأن الحلّ الوحيد والطريق الوحيد لإزالة ضعف المسلمين ولاسترداد العزة والشرف للدول الإسلامية إنما يكمن في إيماهم بهذا المبعوث الرباني الذي جاء بحسب نبوءات النبي ﷺ. فأدعو الله تعالى أن يوفّقهم لإدراك هذه الحقيقة. واليوم أيضًا سأعرض عليكم، في بيان تفسير هذه الآية، بعضَ التوجيهات التي زوّدنا بها المسيح الموعود عليه السلام لتقدُّمنا الروحاني والمادي، لتعرفوا كم هو واسع نطاق هذا الدعاء، وما هي المسؤوليات التي تقع على عواتقنا بعد الإيمان بالمسيح الموعود

السَّلِيَّلاِ، وما هي الغاية التي يجب أن نضعها نصب أعيننا، وما ينبغي أن نفعله، وكيف يجب أن ندعو الله تعالى من أجل تحسين أوضاعنا وإحرازِ التقدم في كل مجالات الحياة! سأقدم لكم الآن بعض أقواله السَّلِيَّلاِ، لكنني أريد أولا أن أقول شيئا بهذا الخصوص ليتضح لكم الموضوع أكثر.

## دعاء يشمل ثلاث مراتب مسلسلة للهداية

لقد قام سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه (الخليفة الثاني للمسيح الموعود السَّلِيَّلاِ) بتلخيص معاني "الهدى" الواردة في مختلف القواميس، وبيَّنها بكلماته وقال إن مفاهيم الهدى هي: الدلالة على الطريق؛ والقيادة في الطريق؛ والمصاحبة إلى نهاية الطريق.

الواقع أن الدلالة على الطريق والقيادة فيه أمران مختلفان، وإنْ بَدَيَا في الظاهر أمرًا واحدا، ذلك أن المرء قد يدلك على الطريق من بعيد قائلا هذا هو الطريق المؤدي إلى المكان الفلاني، أما القيادة في الطريق فهي أن يوصِلك إلى الطريق المؤدي إلى غايتك. أما المصاحبة في الطريق فتعني أن يوصلك إلى غايتك المنشودة.

هذه هي معاني الهدى الثلاثة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الهدى في شتى آيات القرآن الكريم بحسب هذه المعاني.

إننا ندعو الله تعالى – ويجب أن ندعو – بقولنا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يا ربنا اهدِنا و**أرشدْنا إلى صراط حسن يؤدي** إلى البر

والخير، **وسيِّرْنا فيه حتى نحرز** الخير بالسلوك فيه. فكأننا نقول: لا تدلّنا على الطريق الصحيح فحسب، بل وفقنا للسير فيها حتى نتمكن من إحراز الخير، **ووفِّقْنا لنيل هذا الهدف** عاجلا.. أي مَكِّنّا من فعل الخيرات لنمضي قدمًا في درب الحسنات. وبعد القيام بهذا الدعاء لا يمكن للمرء أن يجلس عاطلا مطمئنا، بل سوف يسعى دائمًا لأن يتقدم في الروحانية، ويقطع أشواطًا من التقدم المادي أيضا. إننا نسعى للتقدم الدنيوي عادة ونسعى للفوز به سعيًا كبيرًا، لكننا لا نسعى للتقدم الروحاني بنفس المستوى. وهذا الدعاء يتضمن الحثّ على السعي والجهد من أجل التقدم في كلا المجالين الروحاني والمادي.

## دعاء يفنّد الرهبانية

ثم إن هذا الدعاء يفند فكرة الرهبانية. إن بعض الناس يتركون الدنيا وينقطعون عنها كلية، ولكن الله تعالى خلق الإنسان، كما خلق معه النعم الكثيرة، وهذا الدعاء يلفت انتباهنا إلى السعي للفوز بتلك النعم، مما يعني أن الله تعالى خلق جميع نعمائه من أجل الإنسان الذي جعله أشرف المخلوقات، وفرض عليه أن يسعى لإحراز تلك النعم، لا أن يترهب وينقطع عن الدنيا.

## دعاء لحل المعضلات المادية والروحية

ثم إن هذا الدعاء يحثّ على تعلُّم علوم الدنيا ومعارفها أيضا، كما قلت من قبل، كما أنه دعاء لإحراز التقدم الروحاني باستمرار والفوز برضا الله ﷻ. وبما أن الهادي هو الله وحده فقط كما قال ﷻ ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾(البقرة:١٢١).. أي أن هدى الله هو الهدى الحقيقي، ولذلك علَّمنا هذا الدعاء وقال إذا كنتم تريدون التوجيه في أي قضية فاسألوا الله وحده أن يوجهكم فيها قائلين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.. أي ربنا، دُلَّنا على الطريق السليم المؤدي إلى ما كل ما نسألك، لكي نسلكه ونحقق غايتنا، وليس ذلك فحسب، بل نحرزها بأسرع وقت. إذاً فهذا الدعاء يحث المرء على إحراز التقدم والرقي أيضا، إذ يدعو الله فيه أن يهديه إلى الصراط الذي يحقِّقُ بالسير عليه جميعَ مهماته بوسائل شرعية، وأن يرشده إلى المحطات الجديدة كلما بلغ محطة بفضل منه، لكي يواصل السير إلى المحطات التالية دون تضييع الوقت، ويصل إلى محطة تلو محطة.

## دعاء لتقدُّم الجماعة

هنا أود توضيح أمر آخر وهو أن الله ﷻ علّمنا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فاستخدم فيه صيغة الجمع. لا شك أن الإنسان

يدعو بهذا الدعاء لتقدمه الشخصي، لكننا حين ننضم إلى جماعة فيجب أن تتجه أفكارنا وأدعيتنا من أجل رقي الجماعة، لهذا عندما تدعون بهذا الدعاء فسوف تستعينون به على إزالة الضعف الشخصي، وحين تدعون ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ﴾ أي سيِّرْنا إلهنا على الطريق القويم.. طريقِ النجاح.. الطريقِ الذي نتمكن بالسير عليه من قطع الأشواط سريعا، فسوف يحاسب كل واحد منكم نفسه ويفكر ما هو الدور الذي قام به من أجل الجماعة، وإلى أي مدى عَمِلَ مِن أجل تقدمه الروحاني، وإلى أيّ حد حاول أداء حقوق العباد؟ حينما ندعو الله تعالى أن يهدينا على طرق الهدى، فيجب ألا يبقى بعده أي عتاب شخصي أو خصومة شخصية، فنحن نسير على تلك الطرق معًا حيث نجني الفوائد الشخصية أيضا ونسعى جاهدين لتقدُّم الجماعة وتعزيز نظامها أيضا، ولتحسين أوضاعنا الروحانية والعِلمية والعَملية، عندها يفتح الله تعالى لنا حسب وعده طرق الهدى والرقي باستمرار، كما قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد:١٨). فإن المثابرة على السير على دروب الحسنات وعلى الدعاءِ أن يزيدنا الله هدى تؤدي إلى تقدمنا الروحاني على الصعيد الشخصي وعلى صعيد الجماعة معًا، كما يتحقق بها الرقي المادي أيضا في كلتا الحالتين.

## دعاء يصلح لكل إنسان وزمان

إذًا فهذا الدعاء الذي نردده في كل ركعة من كل صلاة بانتظام ليس بدعاء عادي، بل إذا انبعث هذا الدعاء من أعماق القلوب فهو يكشف الطرق والآفاق الجديدة للنجاح. فكما قلت سابقا إن المسيح الموعود عليه السلام ذكر هذا الدعاء في سياقات مختلفة لبيان مواضيع شتى. يقول عليه السلام موضِّحا أن هذا الدعاء يشمل جميع مراتب الناس ما نصه:

"فالحاصل أن دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُنجي الإنسان مِن كل أَوَدٍ ويُظهِر عليه الدينَ القويم (أي أن هذا الدعاء يوضح دين الإسلام القيِّم إلى الأبد) ويُخرجه من بيتٍ قفرٍ إلى رياض الثمر والرياحين. ومَن زاد فيه إلحاحًا، زاده الله صلاحا (لقد قال المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر ليس ضروريًا أن يقرأ المرء هذا الدعاء في الصلاة فقط، بل يجب أن ترددوه مرارا في أوقات أخرى لكي تترسخ معانيها في أذهانكم، لكي تنتبهوا إلى الخضوع أمام الله أكثر بحيث تنبعث من القلب حرقات وآهات لقبول هذا الدعاء) والنبيون آنسوا منه أُنْسَ الرحمن، فما فارقوا الدعاء طُرفةَ عين إلى آخر الزمان. وما كان لأحد أن يكون غنيًّا عن هذه الدعوة، ولا معرضًا عن هذه المُنْية، نبيًّا أو كان من المرسَلين. فإن مراتب الرشد والهداية، لا تتم أبدًا بل هي إلى غير النهاية (فالأنبياء أيضًا لا يفكرون أنهم ما داموا قد حققوا مكانة فقد

بلغوا غايتهم، كلا، بل لا تزال أمامهم طرق مفتوحة للتقدم والرقي نظرًا إلى ما أعطاهم الله من مواهب) ولا تبلغها أنظارُ الدراية، فلذلك عَلَّمَ الله تعالى هذا الدعاء لعباده، وجعَله مدار الصلاة (فهو ركن أساسي للصلاة حيث أُمِرنا بالتركيز على دعاء اهدنا الصراط المستقيم) ليتمتعوا برشاده، وليُكمّل الناس به التوحيدَ، وليذكُروا المواعيد، وليُستَخلصوا من شركِ المشركين.

ومن كمالات هذا الدعاء أنه يعمّ مراتب الناس كلّهم (فبين أن مراتب الرشد والهدى لا تنتهي أبدا، فبعد أن يصل المرء محطة تظهر له محطات جديدة أخرى، وثانيا يستفيد بهذا الدعاء أناسٌ من جميع الطبقات، فيستفيد منه ضعيف الإيمان ليتقدم في الإيمان، بل حتى الملحد ومن لا دين له أيضا يستفيد منه ليتوب إلى الله. إذن فهذا الدعاء يتقدم بكل واحد إلى الأمام بحسب درجته بشرط أن يدعو بحسن النية).

## دعاء ذو بشارات

وهو دعاء غير محدود لا حدَّ له ولا انتهاءَ، ولا غايَ ولا أرجاءَ. فطوبى للذين يداومون عليه بقلبٍ دامِي القُرْح، وبروحٍ صابرةٍ على الجُرْح، ونفسٍ مطمئنةٍ كعباد الله العارفين (أي يجب أن تدعو بهذا الدعاء بحرقة شديدة وبألم متناهٍ كما يتألم الجريح من الجروح ويصبر عليه، وتظلوا تسألونه ساعين بنفوس مطمئنة راضين برضى الله للوصول

إلى الغاية المنشودة وهي الفوز رضوان الله) وإنه دعاء تضمَّنَ كلَّ خير وسلامة، وسدادًا واستقامة، وفيه بشارات من الله رب العالمين."

(كرامات الصادقين ص ٨٥ طبعة ٢٠٠٧)

وما هي هذه البشارات؟ أقدم لكم مثالا أو مثالين يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾(التغابن:١٢)، ثم قال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾(النور:٥٥)، وضمير الغائب في هذه الآية حسب سياقها يعود إلى النبي ﷺ، والمعنى: أنكم إذا أطعتم النبي (ﷺ) فستنالون الهدى. والهدى كما شرحت معانيه في مستهل الخطبة يعني المضيَّ قدمًا على دروب الرقيّ، والفوزَ برضوان الله ﷻ. قد جعل الله تعالى رضاه وحبه مشروطًا باتّباع النبي ﷺ كما جاء في القرآن الكريم.

فدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مهمٌّ للغاية لتقوية الإيمان وإحراز التقدم في الهداية بانتظام، والفوزِ برضا الله تعالى. عندئذ يستجيب الله هذا الدعاء ويكرم عبده بإنعامات لا حصر لها.

## البر الحقيقي هو الصراط المستقيم

ثم يبيِّن المسيح الموعود عليه السلام أنواعَ الصراط المستقيم والاهتداءَ إليها، فيقول:

"إن القيام بالبر الحقيقي هو الصراط المستقيم.. (أي أن الصراط المستقيم إنما يعني السير على درب الحسنة الصحيحة الحقيقية).. وهذا

ما يسمَّى الوسطية والاعتدال، لأن به يتحقق **التوحيد العَملي** الذي هو الغاية المنشودة.. (أي أن وحدانية الله التي يهدف إليها المرء لا تتحقق إلا إذا تمسك بالاعتدال في سلوكه. وكيف يتم ذلك؟ فقد قال عليه السلام).. فمن قصّر في التحلي بهذه الحسنة فهو مُفرِّط، ومن تجاوزها فهو مُفْرِط.. ( أي مَن تهاون في كسب الحسنات فهو مقصِّر في العمل بأوامر الله، أما الذي يحاول أن يتقدم أسرع من اللازم فكأنه يريد أن يزيد في أوامر الله. فإن المرء يجادل أحيانا في بعض الأمور والمسائل أو يُرائي بحسناته. صحيح أن القيام بالبر أمر حسن جدا، ونشْرَ البر عمل حسن جدا، لكن نظام الجماعة يقرر أحيانا بخصوص بعض الأمور (بسبب بعض الحِكم) أن السكوت فيها أفضل بحسب مقتضى الحال شريطة أن لا يكون ذلك السكوت ناجما عن مداهنة أو ضعف.. وفي بعض الأحيان يأمر الخليفة نفسُه بالالتزام بالسكوت في ظروف معينة، لكن بعض المتحمسين يتقدمون ويُبدون الحماس أكثر من اللازم مما يثير المشاكل في محيطهم لبقية أبناء الجماعة. لهذا قد قال النبي ﷺ "الإمام جُنّة"، فاعملوا بأوامره واتبعوه، وإذا تقدمتم نتيجة الحماس ومشيتم حسب مبتغاكم ونفّذتم آراءكم، فسوف تُعَدّ هذه الأعمال من الإفراط، وإنْ كانت أعمالكم هذه حسنات بحد ذاتها وأمر الله بها بشكل عام.

## التوحيد العِلمي والعَملي والحالي

فقد قال المسيح الموعود عليه السلام: إنكم إذا أبديتم الضعف في موقف معين، فهو خطأ، أما إذا قمتم بتصرف خاطئ مخالف لمقتضى الحال وتجاوزتم أكثر فهو أيضا خطأ.. فالعفو في كل مكان يُعتبر إفراطا، لأن العفو بدون مراعاة مقتضى الحال ظلمٌ بمبدأ العفو نفسه. (فالعفو عمن اعتاد السرقة وعن اللص المحترف أو المجرم في كل مرة ليس مناسبا بل يُعَدُّ إفراطا يشجعه على التمادي في الجريمة)..

أما ترك العفو تماما في كل حالة فهو تفريط.. (أي لو أصرّ أحد على معاقبة المجرم وألحّ على إنزال العقاب به في كل الأحوال - حتى إذا كان العفو عنه يؤدي إلى إصلاحه - فهو أيضا مخطئ).. لأنه لم يراع مقتضى الحال وأضاع الفرصة.. (أي في هذه الحالة يختفي الفرق في الحكمة بين العقاب والعفو).. إن القيام بالعمل في محله هو الوسطية والاعتدال الذي يسمَّى الصراط المستقيم.. (أي إنجاز كل عمل حسب ما يقتضيه الحال هو الاعتدال، وهذا ما ينبغي التمسك به، وهذا ما يسمَّى الصراط المستقيم).. الذي فُرض على كل مسلم أن يسعى للفوز به، وأوجب الله على الإنسان أن يدعو من أجله في كل صلاة بانتظام، لأن ذلك سوف يجعله متمسكا بالتوحيد.. (لأن هذه الأمور تحمي المرء من الإفراط والتفريط والزيادة والنقصان، وتنبّهه إلى الاعتدال، ثم تقوده هذه

الأعمال إلى التوحيد)، لأن من صفات الله تعالى أنه على صراط مستقيم.. (أي أن المرء يظفر بلقاء الله على الصراط المستقيم حصرا، لذا إذا تيسرت هذه الأمور للإنسان فسوف يسير إلى التوحيد).. وعلاوة على ذلك فإن سلوك الصراط المستقيم يسمى حقًا وحكمة، لذا فإن تعامُل الإنسان مع عباد الله بالحق والحكمة يسمى حسنةً.. (أي المراد من الصراط المستقيم هو الحق والصدق والحكمة والعمل حسب مقتضى الحال، ولو عامل أحد عباد الله بالحق والحكمة لعُدَّ عمله حسنة).

وسلوك الصراط المستقيم بحق الله يسمّى إخلاصا وإحسانا.. (هنا قد يسيء أحد فهم كلمة "الإحسان"، فليكن معلومًا أن الإحسان هنا يعني الطاعة الكاملة لله والامتثال لأوامره على أحسن وجه.. أي إذا كان التمسك بالصراط المستقيم بحق الله فمعناه الإخلاص التام له والطاعة الكاملة له، وإذا كان ذلك بالنسبة إلى العباد فهي الحسنة الكاملة)..

أما سلوك الصراط المستقيم بحق النفس الإنسانية فيعني تزكيتها.. (أي إذا كان السير على الصراط المستقيم لنفسه فالمراد منه هو تزكية النفس).

**وكلمة الصراط المستقيم تشمل كُلاً من هذه المعاني الثلاثة**، أي البر الحقيقي والإخلاص لله وتزكية النفس.. (فهي تتضمن الحسنة الحقيقية مع الناس وإنشاءَ العلاقة الخالصة مع الله وتزكية النفس أيضا).. هنا يجب أن تفهموا أن الصراط المستقيم المبني على الحق والحكمة ثلاثة

أنواع.. (فقد تبين من هنا أن الحسنة الحقيقية مع الخلق هي الصراط المستقيم وإنشاء العلاقة الخاصة بالله هو الصراط المستقيم وتزكية النفس هي الصراط المستقيم): العلمي والعملي والحالي ويتفرع كل من هذه الفروع إلى ثلاثة فروع أخرى.

(هذا المقتبس صعب جدا وفكرت أولا أن لا أقدمه لكم ،ثم قررت تقديمه نظرًا للأهمية البالغة للموضوع أولاً، وثانيا لأن كثيرا من المسلمين الأحمديين لا يقرأون هذه النصوص، كما أنها لا تتوفر لعدد كبير من الأحمديين المنتشرين في العالم بلغاتهم المختلفة. فيقول عليه السلام: إن كل واحد منها ينقسم إلى ثلاثة أنواع: العلمي والعملي والحالي، ثم كل منها يتفرع إلى ثلاثة أنواع).. **فالعلمي يعني معرفة حقِّ** الله وحق العباد وحق النفس، أما **العَملي فيعني تأدية** هذه الحقوق.. (يقول: العلمي يعني معرفة هذه الحقوق الثلاثة أي حق الله وحق العباد وحق النفس، لأن هذا يتعلق بالعلم، أما العملي فهو تأدية هذه الحقوق.. **فمثلا، الحق العِلمي** هو الإيمان **بوحدانية** الله تعالى، وأنه **مَبْدأُ** لجميع الفيوض، **وجامع** لجميع **المحاسن،** (أي منه عز وجل تنبع البركات كلها وهو خالقها، وكل الكمالات متمركزة فيه)، وأنه **مآبُ** كل شيء (أي إليه يرجع كل شيء في النهاية) وأنه **منـــزَّهٌ** عن كل عيب ونقص، وأنه **مستجمِع** لكافة الصفات الكاملة (أي يجب أن يكون لدى كل مؤمن يقينٌ كامل بأن الله تعالى وحده هو المظهر الكامل للصفات الكاملة كلها)، وأنه

وحده **جدير** بالعبودية **ومخصوص** بالعبادة. (أي أن الله وحده يستحق العبودية الكاملة. وإذا كان الإنسان راغبا في أن يحمل على عاتقه نير عبودية أحد فالجدير به أن يحمل نير عبودية الله **وحده** دون غيره). فهذا هو الصراط المستقيم العِلمي في حق الله.

**أما الصراط المستقيم العَملي** فهو **طاعته** ﷻ **بإخلاص**، (أي الصراط المستقيم العَملي في حق الله تعالى هو الطاعة الخالصة له والعملُ بأوامره) **وعدمُ إشراك** أحد في طاعته ﷻ، **ودعاؤه** ﷻ مِن أجل الخير والسعادة (أي كلما احتاج الإنسان إلى شيء فعليه أن يخضع لله تعالى ويدعوه وحده دائما)، **والتوجهُ** إليه ﷻ **دائما**، **والتفاني** في **حبه**. فهذا هو الصراط المستقيم العَملي لأن هذا هو الحق."

ثم قال عليه السلام: "**والصراط المستقيم العِلمي في حق العباد** هو **اعتبارهم** بشرًا مثلهم (أي أن الصراط المستقيم العلمي فيما يتعلق بحقوق العباد هو اعتبارهم بشرًا **مثلنا** وأنهم **مِن خَلْق الله** وليسوا أكثر من ذلك، وهم في ذلك سواسية، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، فكلهم عباد الله ليست لهم ميزات خارقة أو غير عادية) واعتبارُهم عباد الله ﷻ، واعتبارهم **لا يساوون إزاء الله** شيئا. (أي أنهم ليسوا أكثر من كونهم عباد الله، ولا حول لهم ولا قوة) لأن المعرفة الحقيقية بالنسبة إلى المخلوقات إنما هي أن وجودها لا يساوي شيئًا فكلها عرضة للفناء.

(بعض الناس يُطرون الآخرين إلى حد كبير، ولكن الحق أن كل مَن جاء إلى الدنيا فانٍ، وسيغادرها يوما ما، ثم لن يجد هؤلاء المطرون سبيلا آخر بعد موتهم. كما أن بعض الناس يهجرون عتبات الله أيضا حزنًا على موت الأولاد أو غيرهم من أقارب وأحبّة، لقد قال الـ): إنما المعرفة الحقيقية عن المخلوقات هي أن وجودها لا يساوي شيئًا، فكلها عرضة للفناء. فليتضح هنا أن الإنسان لا يمكن أن يكون إلها أبدًا، كما قال ، بل كل شيء أمام الله عز وجل لا يساوي شيئا قط. **ولكن لا بد من إنزال الناس منازلَهم التي وهبهم الله تعالى إياها وإعطائهم إكراما واحتراما لائقا.** أي فيما يتعلق بكون الناس بشرا فهم في ذلك سواسية بدون أي فرق، ولكن هذا لا يجيز لأحد القول إننا بشر جميعا، لذا يجب ألا تكون هناك فروق بين كبير وصغير مثلا، كلا، لا بد من وجود هذه الفروق)

ثم قال : **هذا هو التوحيد العِلمي،** (فحين يتم اعتبار العباد بهذا الشكل فهذا أيضا نوع من التوحيد العلمي)، **لأن ذلك يدل على عظمة ذاتٍ واحدة فقط.** (**فأمَر عز وجل أولاً بمعاملة العباد بهذا الشكل ووجه الأنظار إليهم ثم لف الأنظار إلى التوحيد الإلهي، وقال: لو فعلتم ذلك لبرز التوحيد من ذلك أيضا لأنه يؤدي بالإنسان إلى إحساس بأن كلَّ ما سوى الله فانٍ، ولا فضل لأحد على آخر من**

**حيث كونهم أناسا، فكلهم سواسية من ناحية كونهم خلق الله. ثم يوجّه هذا الأمرُ أنظارَنا إلى أن الله واحد وهو خالق كل شيء، وهكذا يتوجّه الإنسانُ إلى التوحيد ... لأن ذلك يدل على عظمة ذات واحدة فقط لا نقص فيها بل هي كاملة في ذاته.**

ثم قال عليه السلام: **أما الصراط المستقيم العَملي فهو القيام بالحسنات الحقيقية.. أي العمل بما هو أصلح حقا وأنسب في حقهم،** (فالصراط المستقيم العَملي هو فعل الحسنات والخيرات التي هي الأفضل والأصلح لصاحبها، وتجنُّبُ كلِّ عمل فيه شائبة من الخطأ والحرمة، فهذا هو الصراط المستقيم والتوحيد العَملي، وهذا هو الإظهار العَملي مِن قبل العبد أنه لن يرتكب عملا سيئا وخاطئا لأنه متوكل على الله. إذا كان الإنسان متوكلا على الله فلا يرتكب أي سيئة، وهذا بدوره يوجه الأنظار إلى وحدانية الله)

لأن الموحد يهدف مِن وراء ذلك أن تكون أخلاقه فانيةً في أخلاق الله كلية. (ذلك أن الذي يعبد الله وحده يحاول دائما أن تكون أخلاقه منسجمة بأوامر الله تعالى وصفاته وبما يتوقعه الله من العباد)

يقول عليه السلام: **الصراط المستقيم العِلمي في حق النفس هو الاطلاعُ** على كل الآفات التي تنشأ في النفس كالعُجب والرياء والاستكبار والحقد والحسد والزهو والشح والبخل والغفلة والظلم، **واعتبارُها**

أخلاقا رذيلة كما هي في الحقيقة. هذا هو الصراط المستقيم، وهذا هو التوحيد العِلمي.

(فما هو الصراط المستقيم العِلمي في حق النفس؟

إنما هو أن نفس الإنسان ما دامت تقع في مشاكل وترتكب أعمالا سيئة، فعليه أن يعرف جيدا أنها سيئات خطيرة تُهلك صاحبها. فلو فعل ذلك اعتُبر سالكًا الصراط المستقيم العِلمي)

ثم قال عليه السلام: هذا هو التوحيد العِلمي إذ من خلاله تنكشف عظمةُ الله الأحد الذي هو منـــزه عن كل عيب وقدوس في ذاته.. (**يقول عليه السلام: إذا اطلع الإنسان على سيئات نفسه وحالاتها توجَّهَ إلى وحدانية الله وتوحيد الله العِلمي، لأن اطلاعه إلى هذه الأمور يكشف له عظمة الواحد الأحد الذي لا عيب فيه. أما البشر فيمكن أن يتدنسوا بكل أنواع العيوب والسيئات، التي لا بد للمرء أن يتجنبها، ولا يتم ذلك إلا باللجوء إلى الله تعالى؛ وهذا بدوره يوجِّه الأنظار إلى وحدانية الله.** فيقول عليه السلام: مِن خلاله تنكشف عظمة الله الذي هو أحد ولا عيب فيه وهو قدوس في ذاته.. أي يتبين للمرء أن الله تعالى وحده منـــزه عن العيوب، أما المخلوقات الأخرى فليست متره عنها، كما يمكن أن توجد في الإنسان العيوب المذكورة أعلاه وغيرها أيضا، فيخضع أمام الله تعالى للتخلص منها). ثم قال عليه السلام:

..**الصراط المستقيم العَملي في حق النفس** هو قمع الأخلاق الرذيلة منها.. أي **التخلّي عن الرذائل والتحلّي بالفضائل**.. (أي أن الصراط المستقيم العَملي هو اتخاذ الإنسان خطوات عملية للقضاء على الصفات الرذيلة المذكورة أعلاه، فيُجرِّد نفسَه من الأعمال السيئة كلها ويتحلى بجميع الحسنات التي علّمنا الله إياها. فهذا هو الصراط المستقيم العَملي للنفس)

فقال عليه السلام: هذا هو الصراط المستقيم العَملي، وهو التوحيد الحالي (أي مِن خلال الصراط المستقيم العَملي تنكشف حالة الإنسان العملية. وبهذه الحالة تنكشف له وحدانية الله أيضًا)

... لأن الموحد يهدف من وراء ذلك أن يخلِّص قلبه مما سوى الله تعالى، فينال مرتبة الفناء في قدوسية الله. (أي يجب على الإنسان أن يطهِّر قلبه من كل ما سوى الله تعالى ويعمل لنيل درجة التفاني في قدوسية الله)

... ولكن: هناك فرق دقيق بين الصراط المستقيم العَملي في حق النفس والصراط المستقيم الحالي في حق العباد، وهو أن الصراط المستقيم العَملي في حق النفس إنما هو قدرة يحصل عليها الإنسان بواسطة التدريب. (أي أنها ميزة خاصة يحظى بها الإنسان بواسطة التدريبات الروحانية مثل العبادة والمجاهدات في سبيل الله بشكل خاص) .. وهو مرتبة شرف معنوي سواءً ظهر للعيان – في حين من الأحيان – بصورة

واضحة أم لا. (أي أنها مرتبة الورع والصلاح الحقيقي سواء ظهر للعيان للآخرين أم لا، غير أن الإنسان يحظى بها بسبب تحمُّله المشاقَّ في سبيل الله من خلال المجاهدات والعبادات الأخرى. إذن، فليس ضروريا أن يراها الآخرون أيضا)

.. لكن الصراط المستقيم العَملي في حق العباد هو توافر شرط الخدمة أي أنها لا تتحقق إلا بخدمات المرء التي يستفيد منها عدد كبير من بني آدم. (أي أن الصراط المستقيم العَملي في حق العباد إنما هو خدمة تتبين وتتحقق حين يراها أعداد كبيرة من بني البشر على صعيد الواقع ويستفيدون منها. والمراد من ذلك أن يؤدي الإنسان حقوق عباد الله الآخرين)

.. باختصار، إن تحقُّق الصراط المستقيم العَملي في حق العباد يكمُن في الخدمة.. (أي قد اشترط الله تعالى أن يؤدي الإنسان حقوق الآخرين، فلا بد من أدائها. وإن هذا الحق لن يتحقق ما لم يؤدِ الإنسان حق خدمة الآخرين، وحين يتحقق يتحقق الصراط المستقيم العَملي)

..أما الصراط المستقيم العَملي في حق النفس فيقتصر على تزكيتها وحدها، ولا حاجة لأداء الخدمة في هذا الصدد.. (فالصراط المستقيم الذي يدعو الإنسانُ اللهَ تعالى لنيله بدعائه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إنما يتحقق بصورة صحيحة عندما يحاول الإنسان لتزكية نفسه، ولا حاجة له لخدمة الآخرين من أجل تزكية نفسه)

..ويمكن للإنسان أن يقوم بتزكية نفسه ولو كان يعيش وحيدا في الفلاة، أما حقوق العباد فلا يمكن أداؤها ما لم يكن مع غيره من بني آدم، لذا فقد قيل: "لا رهبانية في الإسلام".

إذن فيما يتعلق بتزكية النفس فيمكن أن يحرزها المرء وهو يسكن وحيدا في الفلوات، أما المسؤوليات التي كلّف بها الله تعالى الإنسان الذي يعيش مع الآخرين في مجتمع فمنها أداء حقوق الآخرين، ولن يُعتبَر أحدٌ سالكًا الصراطَ المستقيم ما لم يؤدِ حقوق زملائه وجيرانه وغيرهم ممن يعيشون حوله. إنه لبيان طويل لو فهمه الإنسان لَهُدِيَ إلى الطريق ووصل إليه وبلغ غايته المنشودة بعد فهمه المعارف العميقة والواردة فيه والعمل بها. لكن لا بد للعمل بها أيضا من عون الله تعالى، لذلك فقد أمر الله تعالى الإنسانَ أن يدعو دائما: اهدنا الصراط المستقيم.

إذن ففي هذا المقتبس جُعِلت جميع الحسنات متمركزة على نيل رضا الله تعالى وإقامة وحدانيته ﷻ، وهذا هو الهديُ الحقيقي الذي ينبغي أن يسعى المؤمن من أجله دائما.

## الخلاص من دقائق الشرك

ويقول المسيح الموعود ؑ في مكان آخر بصدد تنـــزيه النفس من دقائق الشرك:

"ثم اعلمْ أن في آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة عظيمة إلى تزكية النفوس من دقائق الشرك واستئصال أسبابها، ولأجل ذلك رغّب الله في الآية في تحصيل كمالات الأنبياء واستفتاح أبوابها، فإن أكثرَ الشركِ قد جاء في الدنيا مِن باب إطْراءِ الأنبياء والأولياء، وإن الذين حسبوا نبيهم وحيدا فريدا، ووحده لا شريك له كذات حضرة الكبرياء، فكان مآلُ أمرهم أنهم اتخذوه إلهًا بعد مدة، وهكذا فسدت قلوب النصارى من الإطْراء والاعتداء. فالله يشير في هذه الآية إلى هذه المَفسدة والغواية، ويومئ إلى أن المنعَمين من المرسَلين والنبيين والمحدَّثين إنما يُبعَثون ليصطبغ الناسُ بصبْغِ تلك الكرام، لا أن يعبدوهم ويتخذوهم آلهةً كالأصنام. فالغرض من إرسال تلك النفوس المهذَّبة ذوي الصفات المطهَّرة، أن يكون كلُّ متّبعٍ قريعَ تلك الصِفاتِ، لا قارِعَ الجبهةِ على هذه الصَّفاة."

(كرامات الصادقين ص ٧٧-٧٨طبعة ٢٠٠٧)

## كونوا أولياء اللّه ولا تكونوا عبادًا للأولياء

وقد قال المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر: كونوا أولياء الله ولا تكونوا عبادًا للأولياء، وكونوا مرشِدين ولا تكونوا ممن يعبدون المرشدين.

لقد انتشرتْ عبادة المرشدين على نطاق واسع في بعض الأماكن من بلادنا حتى اتخذ البعض هذه الأمور تجارة لهم. فترى بعض الناس جالسين في قنوات فضائية مثلاً ويقومون بالاستخارات للناس، حيث يتصل بهم الناس فيسألهم هؤلاء "التجار": في أي موضوع تريد الاستخارة؟ ثم يرددون بضع كلمات ويخبرونهم للتو أن زواجك سيكون ناجحا أو غير ناجح.

وتصلني أيضا بعض الشكاوى عن طريق الرسائل من أفراد جماعتنا أيضًا أن بعض النساء أو الرجال يقومون بالاستخارة المزعومة ويعقدون الزيجات حسب رغبتهم، وعندما تُفسَخ هذه الزيجات يقولون للمتضررين إن العيب فيكم وإلا فإن استخارتنا كانت صحيحة.

يحدث كل هذا لأن هؤلاء القوم لا يتوجهون بأنفسهم إلى الدعاء ولا يلتزمون بالصلوات، ثم يجعلون ثقتهم العمياء في الذين اتخذوا هذا الأمر تجارة لهم. فعلى المسلمين الأحمديين أن يتجنبوا هذه الخرافات دائمًا.

يتابع المسيح الموعود عليه السلام ويقول:

"فأومأ الله في هذه الآية لأولي الفهم والدراية إلى أن كمالات النبيين ليست ككمالات رب العالمين، وأن الله أحدٌ صمدٌ وحيدٌ، لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، وأما الأنبياء فليسوا كذلك، بل جعل الله لهم وارثين من المتّبعين الصادقين، فأُمّتُهم وُرثاؤهم.. يجدون ما وجد

أنبياؤهم إن كانوا لهم متبعين. وإلى هذا أشار في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(آل عمران: ٣٢)

إذن فهذا الدعاء يقودنا بدوره إلى التوحيد.

ثم يقول عليه السلام موضِّحًا أن اسم الإسلامِ هو الاستقامةُ:

"لقد سُمِّيَ (الإسلام) في القرآن الكريم بالاستقامة، كما علّم (الله) دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.... وليكن معلوما أن استقامةَ كلِّ شيء تُعرَف بالنظر إلى غايته المنشودة. والغاية المنشودة من وجود الإنسان هي أنه قد خُلق ليكون لله تعالى. إذن، فالمراد من استقامة الإنسان أن يصير لله تعالى في الحقيقة كما أنه قد خُلق أصلاً للطاعة الأبدية لله تعالى. وحين يصبح الإنسان لله تعالى بكل قواه تنـزل عليه من الله نعمة يمكن تسميتها بالحياة الطاهرة، كما ترون أنه إذا فُتحت النافذة إزاء الشمس دخلت أشعتُها من خلالها حتما.....وإن مقام الحصول على هذه الحياة الطاهرة هي الدنيا كما يشير الله جلَّ شأنُه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾(الإسراء: ٧٣).. أي مَن كان أعمى في هذه الدنيا وحُرم من نورٍ لرؤية الله فسيكون أعمى في الآخرة أيضا." (الرد على أربعة أسئلة من سراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية ج١٢ ص ٣٤٤)

فخلاصة الكلام أن الأوساخ الباطنية لا تزول دُفعةً واحدة، وبغير سعي كبير كما قال الله تعالى في القرآن الكريم، بل هناك حاجة ماسة للسعي الدؤوب لهذا الغرض، كما هناك حاجة للدعاء باستمرار، عندها فقط يظهر فعل الله تعالى فيغطي الإنسان في رداء نوره دفعة واحدة.

## الاسم الأعظم للإنسان

يقول المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر: "الاسم الأعظم للإنسان هو الاستقامة." ثم يوضح ذلك ويقول:

"الاستقامة تعني تحقُّق الكمالات الإنسانية. فتقدُّم الإنسان في إنسانيته باستمرار هو الاستقامة وهو الاسم الأعظم، وإليه أشار الله تعالى في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾."

فيجب على كل إنسان وكل مؤمن أن يحاول دومًا أن يحرز -بقدر درجته- الكمالاتِ الإنسانية، ولا بد له أن يدعو الله تعالى للفوز في هذا الأمر. ولا شك أن هذا القول يدل على سعة مفهوم قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام موجها أنظارنا إلى ضرورة الدعاء وكيف يمكن توسيع نطاقه فيقول:

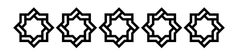
"فليكنْ معلوما بصدد الدعاء أن الله تعالى قد علّم في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويجب

مراعاةُ ثلاثة أمور في هذا الدعاء، أولا: أن يشمل هذا الدعاء بني البشر أجمعين، ثانيا: أن يشمل المسلمين كافة (أي أن يوفقهم الله لسلوك الصراط المستقيم)، وثالثا: أن يشمل جميع الحاضرين في الصلاة بالجماعة. فبهذه الطريقة يدخل في هذا الدعاء البشرُ كلهم، وهذا ما يريده الله تعالى، لأنه ﷻ سمّى نفسه من قبل في هذه السورة "رب العالمين"، وهذا الاسم يرغّب في مواساة عامة تشمل الدواب أيضا. ثم سمَّى نفسه "الرحمن"، وهذا الاسم يرغِّب في مواساة نوع البشر لأن الرحمة خاصة بالناس. ثم سمّى نفسه "الرحيم"، وهذا الاسم يرغّب في مواساة المؤمنين لأن كلمة "الرحيم" خاصة بالمؤمنين، ثم سمّى نفسه "مالك يوم الدين"، وهذا الاسم يوجِّه إلى مواساة الجماعة الحاضرة، لأن يوم الدين هو اليوم الذي تحضر فيه الجماعات أمام الله. ونظرًا إلى هذا المفهوم الواسع جاء الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فيتبين من هذه القرينة أن هذا الدعاء يشمل مواساة البشر أجمعين. وإن أصل الإسلام هو أن يكون الإنسان مواسيا للجميع. (جريدة الحكَم ٢٩ تشرين الأول ١٨٩٨ ص ٤)

فكل ما سمعناه إلى الآن يقتضي منا أن ندعو الله تعالى لهداية الناس جميعا، وندعو لهداية المسلمين، وندعو للبشرية لينقذها من الدمار.... فابذلوا كل ما في وسعكم لتُحدِثوا في أنفسكم تغييرات طيبة، وادعوا

الله تعالى كثيرا لتفادي الدمار الذي يحدق بالعالم. وفّقنا الله تعالى لذلك، آمين.

**(خطبة الجمعة يوم ٢٠٠٩/٢/١٣ في مسجد بيت الفتوح بلندن)**



# اسعوا جاهدين

# لعبادة اللّه الخالصة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، **آمين**.

## باقة من جنة حياة المسيح الموعود عليه السلام

لا يسعنا الشكر حقَّ الشكر على منّة الله التي منَّ بها علينا بإرسال المحب المخلص والخادم البارّ للنبي ﷺ إمامِ الزمان والمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، الذي بُعث تحقيقا لنبوءات النبي بعد زمن مظلم طويل. وإن أفضل وسيلة لإسداء الشكر هي أن نقرأ أقوال هذا المبعوث وكتاباته وتوجيهاته ونتدبرها ونطبّقها على حياتنا، وإن أروع المشاهد للعمل بالهدْي الإلهي في قوله سبحانه وتعالى ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة ١١٩) نجده في حياة الصحابة الذين كسبوا فيوض النبي ﷺ بالجلوس في مجالسه والانتفاع من مُجالسته حق الانتفاع، فبلَّغونا توجيهاته وأقواله القيمة وسردوا علينا أحداث مَجالسه ونقلوا لنا نصائحه. ثم في هذا الزمن الأخير الذي ظهر فيه محبُه المخلص الذي ألَّف كتبا عديدة في بيان التعليم السامي للإسلام وتفسير القرآن الكريم، وأثبت فيها للعالم تفوّقَ

الإسلام وأفضليته على جميع الأديان، لكن حضرته ﷺ كان يعقد مع الصحابة مجالس كثيرة متفاوتة الطول أيضا، كما أن له بعض الخطب التي ألقاها في الجلسات، وهي غير موجودة في تلك الكتب. كان الصحابة يكسبون الفيوض من صحبة المحب الصادق للنبي ﷺ المباركة، وقد حفظتْ هذه المجالسَ جرائدُ الجماعة في ذلك الزمن. كم كانوا سعداء أولئك الذين نالوا فيوض صحبة إمام الزمان عملا بالتوجيه القرآني في صحبة الصادقين، فنحن نشكر للذين جلسوا في تلك المجالس المباركة وطرحوا الأسئلة المتنوعة وسجلوا تلك الأقوال الحكيمة، فبواسطتها نستطيع أن نسمع ونقرأ تلك الأقوال اليوم أيضا حتى بعد مضي مائة عام، وبقراءتها أو الاستماع إليها نرى أنفسنا بعين التصور جالسين في مجلس الخادم البار للنبي ﷺ. اليوم قد اخترت من هذه المجالس بعض التوجيهات والنصائح التي تناولها في مجلسه بخصوص الصلاة والدعاء والعلاقة بالله سبحانه وتعالى.

## الدعاء هو نهر الحياة وماء البعث وفضاء الحرية

لقد قال حضرته ﷺ في خطبة طويلة ألقاها في الجلسة عام ١٩٠٧ وهو يلفت الانتباه إلى الدعاء: تذكّروا أن الله سبحانه وتعالى حين بدأ القرآن الكريم بالدعاء وختمه أيضا بالدعاء فمعناه أن الإنسان ضعيف جدا لدرجة لا يستطيع أن يتطهر من دون الفضل الإلهي، ولا يستطيع أن

يتقدم على درب الحسنات ما لم يَنَلْ العون والنصر من الله ﷻ، فقد ورد في حديث: كلكم ميت إلا من أحياه الله، وكلكم ضال إلا من هداه الله، وكلكم أعمى إلا من أبصره الله.

فالحق أنه ما لم يتأتَّ فضلٌ من الله يظلّ طوقُ حبِّ الدنيا محيطًا بالإنسان إحاطةَ القلادةِ المُحْكَمة، ولا ينجو منه إلا مَن رحمه الله. ولكن يجب التذكر أن فضل الله أيضا ينـــزل بالدعاء. (أي إن كنتم تريدون نوال فضل الله يجب عليكم أن تدعوا الله تعالى لذلك أيضا).

## ضرورة صفاء الروح ووضوء روحاني ولباس جميل

ثم قال عليه السلام مؤكدا على اجتناب الوساوس في الصلاة:

"أيّ دعاء هذا أن يردد المرء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ باللسان وقلبه مشغول في التفكير بكيفية إتمام الصفقة هذه أو تلك، أو أن الأمر الفلاني بقي عالقا، وأنه يجب إنجاز هذا العمل بالأسلوب الفلاني. وأنه لو حدث كذا فالعمل كذا. إن هذا ليس إلا إضاعة العمر. وما لم يؤثر الإنسانُ كتاب الله ولا يعمل بحسبه فإن صلواته لا تعني إلا هدر الوقت فحسب. (ثم قال عليه السلام: يجب على الإنسان أن يدعو الله لاجتناب هذا الأمر أيضا)

وفي هذا الصدد تُروى قصة أن شخصا صالحا ذهب ذات مرة إلى مسجد لأداء الصلاة وكان الإمام يفكر في أموره التجارية أثناء الصلاة

بأني سأشتري سلعة كذا وكذا من أمرتسر ثم أبيعها في دلهي (هذه القصة رواها سيدنا المصلح الموعود ﷺ) وسأربح نقودا كذا وكذا، ثم أشتري بضاعة أخرى من دلهي وأسافر إلى كالكوتا وسأربح هناك كذا وكذا، ثم أواصل مشواري إلى مدينة أخرى وهلم جرا. فترك الرجل الصالح الصلاة خلفه وبدأ يصلي وحده، لأن الله تعالى كشف عليه حالة الإمام القلبية. وبعد الصلاة شكاه المصلون وقالوا للإمام بأن هذا الشخص لم يصل وراءك بل ترك الصلاة وصلّى وحده. فاستشاط الإمام غضبا وقال: ما السبب؟ لماذا فعلتَ ذلك؟ لماذا تركت الصلاة جماعة، فقد ارتكبت جريمة نكراء. قال الرجل الصالح: "أيها الشيخ المحترم، أنا رجل ضعيف؛ فأنت بدأت السفر من أمرتسر ووصلت إلى كالكوتا وكنت تعزم الوصول إلى بخارى، وأنّى لي أن أواصل هذا السفر الطويل معك"؟ ففي بعض الأحيان يتصرف أئمة الصلوات بهذه الطريقة أيضا.

## قلب الداعي حقًّا يتألم حرقةً ويرقّ ويذوب

ثم يقول عليه السلام في خطابه الذي ألقاه في عام ١٩٠٦م: "ما المراد من الصلاة؟ إنها دعاءٌ ويجب أن يتسم بالألم والحرقة الكاملَينِ، لذلك سمِّيت "الصلاة" لأن المرء يدعو بحرقة وألم أن يزيل الله تعالى النيات والأفكار السيئة من داخله ويخلق مكانها حبا خالصا بفيضه العام. إن كلمة "الصلاة" تدل على أن ترديد الكلمات وأداء الصلاة وحدها لا تكفي،

بل لا بد أن تصحبها الحرقة والرقة والألم. إن الله تعالى لا يجيب دعاء أحد ما لم يُشْرِف صاحبه على الموت. إن القيام بالدعاء الحقيقي أمر في غاية الصعوبة، ولا يدرك الناس حقيقته، يكتب إليَّ الكثيرون أنهم دعوا لأمر كذا وكذا ولم يستجب لهم، وهكذا يسيئون الظن بالله تعالى ويهلكون قانطين، ولا يعرفون أنه لا جدوى من الدعاء الذي تعوزه مستلزماته التي أحدها أن يذوب القلب وتسيل الروح كالماء على عتبة الله تعالى، ويحدث فيها نوع من الكرب والاضطراب. بالإضافة إلى ذلك يجب ألا يستعجل الإنسان وألا يفقد صبره، بل ينبغي أن يواظب عليه بكل صبر ومثابرة، ثم يمكن له أن يتوقع استجابة مثل هذا الدعاء."

## الرد على من يرون عبثية الصلاة وطقسية حركاتها

قال حضرته عليه السلام: "الصلاة هي الدعاء من الطراز الأول ولكن للأسف لا يقدرها الناس، **ولا يفهمون حقيقتها أكثر من أنها طقس يحتوي** على القيام والركوع والسجود وأداء بعض الجمل التي حفظوها كالببغاء سواء فهموا معانيها أم لا.... اعلموا، أننا - نحن وكل طلاب الحق- لسنا بحاجة إلى أي بدعة بعد هذه النعمة. كلما رأى النبي ﷺ مصيبة أو ابتلاء قام للصلاة. وهذه هي خبرتنا وخبرة الصلحاء قبلنا أيضا أنه ليس من شيء يماثل الصلاة في إيصال الإنسان إلى الله تعالى. يلتزم الإنسان بالأدب عند قيامه فيها كالعبد الذي يشبك يديه عند قيامه أمام

سيده. ثم الركوع أيضا يحتوي على الأدب أكثر من القيام، أما السجدة فهي غاية في الأدب، إذ إن الإنسان يخر ساجدًا عند إلقاء نفسه في الفناء.

والأسف كل الأسف على الحمقى وأهل الدنيا الذين يريدون إحداث تغيير في طريق الصلاة ويعترضون على الركوع والسجود، في حين أنها أمور سامية تتميز بالكمال. اعلموا أنه ليس بيد الإنسان شيء ما لم يأخذ نصيبًا من ذلك العالم الروحاني الذي يبلغ صلاتَه ذروتها، ولكن أنى يوقن ببركات الصلاة مَن لا يوقن بوجود الله تعالى أصلا."

## حماس ومتعة بنيل غنيمة

ثم يقول حضرته: "يجب على الإنسان القيام بالدعاء بحرقة وحماس ليعرِّفه الله تعالى على لذة الصلاة والعبادة كما عرّفه على طعم الثمار والأشياء الأخرى ولذّاتها التي أودعها فيها، وذلك لأن الإنسان لا ينسى طعم شيء تذوّقه. اعلموا أنه إذا تمتع الإنسان بالنظر إلى أحد تذكّره جيدًا.. كذلك إذا نظر إلى كريه الشكل وقبيح المنظر مُثلت له حالته أيضا، ولكن لو لم تنشأ له علاقة معه فلا يتذكره. كذلك الصلاة، فإنها غرامة عند تاركها فيرى القيام بها صباحًا عبثًا بعد الوضوء في البرد الشديد وبعد تركه سريره الوثير وأنواعًا أخرى من أسباب الراحة.

والحقيقة أنه يشعر بالضجر والملل في الصلاة فلا يعرف قدرها وليس مطلعًا على لذتها والراحة الكامنة فيها، فأنى له أن ينالها؟

## اللّه يستجيب لمن يُلِحّ في صراخه

ثم في عام ١٩٠٦ قال حضرته عليه السلام في أحد المجالس وهو يعظ الإخوة بشأن الدعاء: لقد ضرب عيسى عليه السلام مثالاً رائعًا بشأن الدعاء فقال: كان هناك قاض لا يعدل بين الناس، وكان يعيش منغمسًا في الملذات ليلَ نهارَ، وكانت لامرأةٍ قضية مرفوعة في محكمته، فأتت إلى بابه مطالبةً بالعدل، ولكن من دون جدوى، فظلت تأتيه وتطالبه بالعدل دونما انقطاع حتى تضايق منها وحكَم أخيرًا في صالحها حكمًا عادلاً.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: أتظنون أن ربكم ليس مثل القاضي أيضًا ولا يستجيب لدعائكم ولا يحقق لكم مطلبكم. على المرء أن يواظب على الدعاء بثبات، وسيأتي وقت الاستجابة حتمًا. إن الاستقامة شرط للاستجابة.

## طوبى للخاشعين وويل للساهين

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام في إحدى المرات: لا فائدة من أداء الصلاة على سبيل الطقس والعادة، بل إن الله تعالى قد توعَّد مثل هؤلاء المصلين بالويل واللعنة، دَعْ عنك أن يتقبل صلاتهم، قال الله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيْن﴾. وقد ورد هذا في المصلين الذين هم غافلون عن حقيقة الصلاة ومفاهيمها. كانت العربية لغة الصحابة -رضوان الله عليهم- فكانوا يعرفون حقيقة الصلاة جيدًا، أما نحن فلا بد لنا من معرفة معاني كلمات الصلاة ونسعى لنجد ما فيها من حلاوة. يظن هؤلاء (أي المعارضون) وكأنني نبي جديد وقد نسختُ صلاتهم (يعني: أنهم قد حوّلوا الصلاة طقسًا فارغًا دون أن يدركوا ما فيها من حقائق ومعان وأهداف، ولذلك يتصورون وكأني نبي جديد جئت بأحكام جديدة وألغيت صلاتهم التي في تصورهم).

## الصلاة تُثبت وجود اللّه وغناه وجدوى حضوره

ثم قال حضرته عليه السلام: اعلموا أنه ليس لله أية فائدة في الصلاة، بل نفعها للإنسان حيث تتاح له فرصة الحضور إلى الله تعالى ويعطى شَرَفَ رفْعِ طلبِه إلى الله تعالى مما يخلّصه من مشاكل كثيرة. إني أقول في حيرة: كيف يعيش هؤلاء القوم الذين ينقضي ليلهم ونهارهم دون أن يعرفوا أن لهم ربًا. اعلموا أن مثل هذا الإنسان هالكٌ لا محالة اليوم وغدًا.

ثم قال حضرته عليه السلام: ها إني أنصحكم نصيحة هامة ليتها تقع في القلوب. ألا إن العمر ينقضي بدون توقف، فاتركوا الغفلة وتضرعوا. ادعوا الله تعالى فرادى بأن يحفظ إيمانكم ويرضى عنكم.

## سلامة الصدر للخَلق ضروري لاستجابة الدعاء

وبينما كان حضرته عليه السلام جالسًا في مجلس عام ١٩٠٧ تطرق الحديث إلى اثنين من أبناء الجماعة قد تباغضا، فنصح عليه السلام الحضورَ نصائح كثيرة منها: لا يستجاب دعاء المرء ما لم يكن صدره مطهرًا. إذا كان يكنّ في صدره حقدًا ضد شخص واحد لسبب دنيوي فلن يستجاب دعاؤه. تخلّوا عن هذه الخصومات والبغضاء والأنانية الباطلة التي يكنّها البعض ضد البعض، وانفُضوا من قلوبكم هذا الحقد والبغض، لأن دعاءكم مردود ما دامت في قلوبكم بغضاء وشحناء ضد الآخرين. احفظوا هذا الأمر جيدًا ولا تبغضوا أحدًا لسبب دنيوي. ما قيمة الدنيا وأسبابها حتى يعادي بعضكم بعضًا من أجلها؟

## ضرورة اضطراب الروح لقبول الدعاء

كان المسيح الموعود عليه السلام يخرج للتنـــزه كل صباح في رفقة بعض الأحباب، وكان يتحدث في موضوع ما خلال النـــزهة. وسوف أقرأ على مسامعكم جزءًا من حديثه الطويل في صباح أحد الأيام عام ١٩٠٨. قال عليه السلام: بعض الناس يسمعون من أذن ويُخرجون ما سمعوه من أذن أخرى، ولا يُنزلونه في قلوبهم، ولا يتأثرون مطلقًا مهما وُعظوا. اعلموا أن الله تعالى غنيّ جدًّا، ولا يبالي بأحد ما لم يُكثِر الدعاء باضطراب مرة بعد أخرى. انظروا كيف يصاب المرء بالقلق

والاضطراب إذا مرضتْ زوجتُه أو ولدُه أو رُفعتْ ضده قضية خطيرة، كذلك يظلّ الدعاء عبثًا بلا تأثير على الإطلاق ما لم يكن مصحوبًا بلوعة صادقة واضطراب شديد. الاضطراب شرط للاستجابة لقوله تعالى ﴿أمَّنْ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه ويكشف السوء﴾. وبعدها قال الله تعالى إنه هو الذي يجيب دعاء المضطر.

## حتى الإخلاص في الدعاء يُنال بالدعاء

لقد ألقى عليه السلام خطابا طويلا في لاهور في مجلس يضم غير الأحمديين أيضا، وتحدّث فيه عن الدعاء فقال: المراد الحقيقي من الإسلام هو أن يجعل المرء رضاه تابعا لمرضاة الله. ولكن الحق أن هذه المرتبة لا ينالها المرء بقدرته هو. غير أنه لا شك في أنه من واجب الإنسان أن يقوم بالمجاهدات، ولكن الوسيلة الحقيقية والصادقة للحصول عليها هي الدعاء. الإنسان ضعيف في حد ذاته، فلا يستطيع أن يعبر هذا الطريق الصعب ما لم تتسنّ له القوة والقدرة بالدعاء. لقد قال الله تعالى عن ضعف الإنسان: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، وإن ادّعاء المرء الحصولَ على هذه المرتبة الرفيعة بقوته هو مع هذا الضعف والهوان فكرة باطلة ولاغية تماما. فهناك حاجة ماسة للدعاء بهذا الصدد. إن الدعاء قوة عظيمة وبواسطته تهون الصعاب الكبيرة. فيعبُر الإنسان منازل صعبة بكل سهولة ويسر لأن الدعاء قناة تجذب الفيض والقوة التي تأتي من الله

تعالى. إن الذي يستمر في التركيز على الدعاء يجذب ذلك الفيض في نهاية المطاف وينال التأييد الإلهي ويحقق أهدافه.

## ضرورة التدبير مع الدعاء

غير أن الله تعالى لا يريد مجرد الدعاء، بل على المرء أن يستخدم جلّ مساعيه ومجاهداته، ويسعى كل سعي وإلى جانب ذلك يقوم بالدعاء أيضا. إن عدم استخدام الأسباب والعكوفَ على الدعاء وحده جهل عن آداب الدعاء وبمنـــزلة امتحان الله. وكذلك السقوط على الأسباب وحدها واعتبار الدعاء لا شيء إلحادٌ. اعلموا يقينا أن الدعاء ثروة عظيمة. والذي لا يترك الدعاء لن تحل بدينه آفة لأنه متحصّن في حصن يحرسه الجنود المدججون بالأسلحة. أما مَن كان غافلا عن الدعاء فمَثَلُه كمَثَل الذي كان أعزل وضعيفا أيضا ومع ذلك هو في فلاة مليئة بالسباع والضواري والدواب المؤذية. فله أن يدرك أنه ليس في مأمن مطلقا بل سيصير صيدا للكواسر في لمح البصر، ولن يسلم له عظم ولا لحم. لذا يجب أن تتذكروا أن سعادة الإنسان العظمى وسبيل حمايته هو الدعاء وحده. وإن الدعاء - إن استمر به - هو الملاذ له.

كذلك قال عليه السلام في مجلس آخر عُقد في لاهور: الأمر الثاني بعد إصلاح الأخلاق هو أن يحظى المرء بحب خالص لله بواسطة الدعاء. أصلِحوا أخلاقكم، ثم حاولوا نيل حب الله تعالى بواسطة الدعاء. على

المرء أن يبتعد عن كل نوع من الذنب والسيئة، وتتسنى له حالة حيث ينفصل عن كافة أنواع الكثافات الداخلية ويصبح كقطرة صافية. ما لم تتسن هذه الحالة للمرء تظل الأخطار تحوم على رأسه دائما. ولكن يجب عليه ألا يترك الدعاء إلى جانب اتخاذ الأسباب لأن الله تعالى أيضا يحب الأخذ بالأسباب، لذلك أقسم سُبحانه وتعالى في القرآن الكريم قائلا: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.. وحين يدعو المرء لاجتياز هذه المرحلة ويقوم بالتدابير أيضا، ويتخلى عن أي مجلس وأي صحبة وأي علاقة تحول دون ذلك ويتنحّى عن العادات والتقاليد والتصنع وينصرف إلى الدعاء فسوف يرى أمارات القبول يوما ما.

## مواصلة الدعاء والإصرار عليه

من خطأ الناس أنهم يتوقفون بعد الدعاء لفترة وجيزة ثم يشتكون بأننا دعونا إلى فترة كذا وكذا ولكنه لم يُقبل. ولكن الحق أنهم لم يؤدوا حق الدعاء فكيف يُقبل! إذا كان المرء جائعا أو ظامئا بشدة ويأكل حبة واحدة أو يشرب قطرة واحدة ثم يشكو أنه لم يشبع هل ستكون شكواه في محلها؟ كلا، لن يستفيد شيئا ما لم يتناول كمية مناسبة من الطعام أو الشراب. والحال نفسه بالنسبة إلى الدعاء، فلو ركّز الإنسان عليه باستمرار وبآدابه لنال مبتغاه يوما من الأيام. وقد ضل مئات الناس بتركه بعد فترة وجيزة وهلكوا. وهناك آخرون على وشك الهلاك. *(أي*

*لو تركتم الدعاء بعد فترة وجيزة فلتكونوا جاهزين للهلاك)* كذلك أنّى للدعاء الذي يقوم به المرء لأيام معدودة أن يُري تأثيره إذا وُجدت في صاحبه سيئات هو غارق فيها من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، ويكون الناس مصابين بالعُجب والزهو والكبر والرياء وغيرها من الأمراض التي تضيع الأعمال.

## الدعاء والعبادة حبًّا لذات اللّه فقط

إن مَثَل العمل الحسن كمَثل طير، لو أبقيتموه في قفص الصدق والإخلاص لبقي، وإلا لطار واختفى. وهذا لا يتأتّى دون فضل من الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١١) والمراد من العمل الصالح هنا هو ألا تشوبه شائبة السيئة قط، بل يسوده الصلاح فقط. يجب ألا يكون هناك عُجب ولا كبرٌ ولا نخوة ولا استكبار، ولا شائبة من أهواء النفس، كما ينبغي ألا يكون العمل من أجل الخَلْق. *(أي يجب ألا يعلّق الآمال على الناس)* بل أيضا لا يكون العمل حتى من أجل الجنة أو الجحيم، بل يجب أن تكون أعماله نابعة من حب الله تعالى. ولو تخللتها أهداف أخرى لتعثّر. وهذا هو الشرك بعينه لأنه لا فائدة من الصداقة والحب الذي يكون مبنيا على فنجان قهوة أو حب زائف آخر. إن هذا النوع من الإنسان حين يلاحظ الفتور في *هذا الحب* يقطع العلاقة فورا.

والذين ينشئون مع الله علاقة لينالوا مالا أو أولادا أو لينجحوا في أمور كذا وكذا تكون علاقاتهم مؤقتة ويكون إيمانهم في خطر، بحيث كلما أصيبت أهدافهم الشخصية بصدمة ما ولم تتحقق أغراضهم فَتَرَ إيمانهم. لذا فالمؤمن الصادق هو ذلك الذي لا يعبد الله لهدف معين. بمعنى أنه لا يعبد الله بشرط أنه لو تم ذلك لفعلت كذا وكذا.

## الدعاء هو العلاج لمرض الشك في عظمة الله

وفي مجلس آخر عُقد في لاهور قال عليه السلام: هناك الكثير من الناس الذين يؤمنون بالله باللسان ولكن لو فحصتموهم لوجدتم فيهم الإلحاد لأنهم عندما ينشغلون في مشاغل دنيوية ينسون غضب الله وعظمته نهائيا. لذا من الضروري جدا أن يطلب المرء المعرفة من الله بالدعاء، وبدونه لا يبلغ اليقين مبلغ الكمال قط، بل سينال الكمال حين يعلم المرء جيدا أنَّ في قطع العلاقة بالله موته.

فحين تدعون للاجتناب من الذنوب يجب ألا تتركوا الأسباب أيضا من اليد. أي يجب أن تدعوا لتجنّب الذنب.. واتخذوا الأسباب أيضا، وابتعدوا من كافة المجالس والمحافل التي من شأن الاشتراك فيها أن تجركم إلى الذنوب. *(وهذا ضروري ولاسيما للشباب أن يبتعدوا عن المجالس والمحافل واللغو الذي يقود إلى الذنوب)* وإلى جانب ذلك التزموا بالدعاء أيضا.

اعلموا جيدا أن الآفات التي تصيب المرء نتيجة القضاء والقدر لا تزول قط ما لم ترافقها نصرة من الله.

وفي الصلاة التي تؤدَّى خمسَ مرّات أيضًا إشارة إلى أن الإنسان إذا لم يَحْمِ صَلاتَه من النــزعات والأفكار النفسانية فلن تُعَدَّ صلاةً حقيقية أبدًا. إن الصلاة لا تعني أبدًا بِضْعَ نقراتٍ وأداءَها مجردَ طقس من الطقوس. كلا، بل إن الصلاة عملٌ ينبغي أن يشعر به القلب أيضا حتى تذوب الروح وتخرّ على عتبة الله من شدة الخوف. على المرء أن يسعى بكل ما أوتي من قوة حتى تتولد في قلبه الرِّقَّة، ويدعو بمنتهى الضراعة ليزول ما في نفسه من التجاسر والذنوب. وإن صلاة كهذه هي الصلاة المباركة، ولو داومَ عليها الإنسان لوجد أن نورًا قد نزل على قلبه ليلاً أو نهارا، وأن نزعة نفسه الأمّارة قد خفَّتْ وتراجعتْ. وكما أن في الأفعى سُمًّا قاتلاً، كذلك يوجد في النفس الأمّارة سُمّ قاتل، ولا علاجَ له إلا بيدِ مَن خلَق هذه النفس. *(أي إذا كان الله قد خلقكم فاسألوا الله سبحانه وتعالى علاج جميع الذنوب والأشياء الضارة كلِّها، ببذل المساعي الحثيثة)*

## طوبى لمن يدعو لعز الدين

ثم كان حضرته في اجتماع يضم المبايعين الجدد أيضا في ١٩٠٤ فقال لهم ناصحا: من أجل الدعاء يجب على الإنسان أن يفحص قلبه وأفكاره هل يميل إلى الدنيا أم الدين، أي هل يُكثر الدعاء لِنعم الدنيا

ورفاهيتها أو لتوفيقه لخدمة الدين؟ (هذا الأمر جدير بالانتباه الكبير، حيث يجب أن تلاحظوا اتجاه ميولكم، أإلى الدنيا أم الدين؟ وما هو المعيار للتأكد من ذلك؟ فقد قال: عليكم أن تفحصوا أن الأدعية التي تدعونها هل معظمها لنيل النِّعم الدنيوية ورفاهيتها ولسدّ الاحتياجات الدنيوية المادية، أم للدين وخدمته). فإذا علِم أن ما يبعثه على الدعاء قياما وقعودا وعلى جنبه هي همومُ الدنيا وأغراض الدنيا، ولا يهمه الدينُ، فعليه أن يبكي على أوضاعه، فقد لوحظ كثيرا أن الناس يقومون بجهود شاقة لنيل الدنيا، وينشغلون في الدعاء أيضا، لكنهم في نهاية المطاف يصابون بأنواع المصائب والأمراض، حتى يصاب بعضهم بالجنون. أما إذا كان الاهتمام الكلي للمرء منصبّا في حصول الدين فإن الله لا يضيعه أبدا. فمَثل القول والعمل كمثل الحبة، فلو أعطينا أحدا حبة فتركها في مكان و لم يستخدمها فسوف تأكلها السوس، كذلك إذا كان هناك قولٌ و لم يقترن بعمل فسوف يأتي يوم يختفي فيه القولُ أيضا، لهذا يجب الاستباق في الأعمال. (أي ينبغي أن تسعوا إلى الأعمال، إذا بذرتم حبة فستنبت منها شجرة، أما إذا تركتموها فستتسوس).

## ادعوا اللّه سلفًا لتُعصموا

ثم قال في أثناء الحديث عن الدعاء الحقيقي في مجلس في كانون الثاني/ يناير ١٩٠٨: للدعاء نوعان نوع يتمثل في الدعاء العادي، والثاني: حين

يوصله المرء لمنتهاه، وهذا الأخير هو الدعاء الذي يجدر أن يسمى الدعاءَ حقًا.

على الإنسان أن يواظب على الدعاء حتى إذا لم يتعرض لأي مشكلة، (فليس من الضروري أن يدعو الإنسان عند تعرُّضه للمشاكل، بل ينبغي أن يداوم على الدعاء حتى في الأوضاع العادية) فهو لا يعلم مشيئة الله وما الذي يحدث غدا، فادعوا الله سلفا لتُعصموا. أحيانا يتعرض الإنسان لبلية بحيث لا يجد الفرصة للدعاء، فلو كان قد دعا قبل ذلك فهو يفيده في الساعة الحرجة، وهذه هي أهمية الدعاء.

## ابحثوا عن الوسائل بالدعاء

ثم قال حضرته عليه السلام في خطاب له: لقد خُلق جسم الإنسان في الظاهر بحيث تحتاج يداه ورِجلاه بعضها إلى بعض، وإذا كان يلاحظ وضع التعاون هذا في أعضاء جسمه فكم يبعث على التعجب والاستغراب أنه لا يفهم مغزى قوله تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة ٣)، إلا أنني أقول أن ابحثوا عن الوسائل بالدعاء، (أي ينبغي أن يكون البحث عن المتاع المادي أيضا بالدعاء)، أما التعاون المتبادل فيما بينكم، فحين أُريكم نظاما كاملا دالا على ذلك قد أقامه الله سبحانه وتعالى في أجسامكم فلا أرى أنكم تنكرونه. إن الله قد أقام في الدنيا سلسلة الأنبياء ليُبين هذا الأمر للعالم ويوضِّحه أكثر، فكان الله سبحانه وتعالى ولا

يزال قادرا على أن لا يُبقي الرسل محتاجين إلى أي نوع من المساعدة إذا أراد ﷻ، ومع ذلك يأتي عليهم زمن لا يجدون بدا من الإعلان: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ (آل عمران ٥٣). فهل مَثَلُ إعلانهم كمَثَل الشحاذ الذي يطلق النداء للحصول على بعض كسرات الخبز؟ كلا بل إن قولهم: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ يتَّسم بهيبة وعظمة حيث يقصدون بذلك تعليمَ العالم مراعاةَ الأسباب، التي هي من لوازم الدعاء (فحين يقول الأنبياء ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ فلا يقولون لأغراض شخصية، وإنما يريدون أن يعلِّموا الدنيا مراعاةَ الأسباب) وإلا فإن إيمانهم الكلي يكون بالله ﷻ وحده وهم يثقون بوعوده. إنهم يعلمون أن وعْدَ الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر ٥٢) قطعي ومؤكد. وأنا أقول إذا لم يُلق الله ﷻ في رُوع أحد فكرة النَّصر، فأنى لأحد أن يتقدم للنصر. فالحقيقة أن المُعين الحقيقي والنصير هو الذات القدوس الذي يوصف بـــ "نِعْمَ المولى ونِعْمَ الوكيل، ونِعْمَ النصير" وإن الدنيا ونَصْرها كالميت في نظر هؤلاء، ولا يرونها تساوي الدودةَ الميتة، لكنهم يتخذون هذا المنهج أيضا لتعليم الدنيا الطريق البسيط العام للدعاء، ويؤمنون بأن الله وحده في الحقيقة يتولى أمورهم. وهذا هو عين الصواب، فقد ورد ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٧).. إن الله يأمرهم بأن يُظهروا شئونهم عن طريق الآخرين. كان

رسولنا الكريم ﷺ يسأل المساعدة في مناسبات كثيرة، وذلك لأن الزمن كان بحاجة إلى نصرٍ إلهي، فكان يتحرّاه.

## الدعاء راحة للمؤمن كالماء للسمك

ثم يقول حضرته عليه السلام: إن مَثل الداعي كجالس عند نبع الماء المَعين، فهو يستطيع أن يروي نفسه متى يريد، فكما لا يستطيع السمكُ العيشَ خارج الماء كذلك فإن الدعاء بمثابة الماء للمؤمن، بحيث لا يستطيع العيش دونه، وإن أفضل محل للدعاء هو الصلاة، إذ يتمتع فيها المؤمن بالراحة والسرور الذي يساوي مقابله شيئا قمةُ اللذة والمتعة التي ينالها المنغمسُ في الملذات في أعمال الفاحشة.

إن أكبر ما يناله الإنسان بالدعاء هو القرب الإلهي، فبالدعاء يتقرب المرء إلى الله ويجذبه إليه، فحين يتحقق الإخلاص التام والانقطاع الكامل في دعاء المؤمن، فإن الله سبحانه وتعالى هو الآخر يرحمه ويتولاه، فلو تأمل المرء حياته لوجدها مريرة إذا لم يتولَّها الله. انظروا حين يبلغ المرء سن النضج، ويدرك ما ينفعه ويضره، فتبدأ سلسلة طويلة لخيبات الأمل والإخفاق، ويواجه أنواع المصائب فيبذل الجهود لتفاديها، ببذل المال وإنشاء العلاقات مع الحكام وبأنواع المكر والخداع. فحين تظهر المصائب في الدنيا يبذل الإنسان لاجتنابها كل ما في وسعه، فإذا كان يملك المال والثروة فهو ينفقها للاتقاء منها، وإذا كانت له العلاقات

الجيدة مع المسؤلين فهو يستغلها، أو يلجأ إلى أنواع الحيل والمكائد، فهو يحاول الخروج منها بأي طريقة ممكنة لكنه يتعذر عليه النجاحُ، وأحيانا تؤدي به مشاكلُه المريرة إلى الانتحار. فإذا قارنّا بين هموم أهل الدنيا وأحزانهم وآلامهم وبين مصائب أهل الله أو الأنبياءِ فإن هموم الفريق الأول معدومة تماما مقابل مصائب الأنبياء عليهم السلام، ولكن هذه المصائب والشدائد لم تسبب لحزب الأطهار هذا ألمًا ولا حزنًا. إن المصاعب التي يتعرض لها الأنبياء والأولياء لا تسبب لهم حزنًا ولا أسفًا ولا تؤثر شيئا على فرحتهم وسرورهم لأنهم في رعاية الله تعالى بسبب دعائهم. اعلموا أنه لو كان أحد على صلة بالحاكم الذي سمح له بالاستعانة به عند حلول مصيبة من المصائب لكان هذا المرء أقل همًّا وحزنًا من غيره عند حلول مشكلة لا يقدر هذا الحاكم على إزالتها، فكيف يمكن إذًا أن يقلق عند حلول المصائب والشدائد من كانت له علاقة متينة مع أحكم الحاكمين؟ فلو حلَّ بأحد عُشرُ ما يتعرض له الأنبياء عليهم السلام من مصاعب لقضى عليه، أما هؤلاء فعند بعثتهم لإصلاح الناس يتحول العالم كله أعداء لهم، ومئات الألوف من الناس يتعطشون لإراقة دمائهم، ولكن هؤلاء الأعداء الألداء أيضا لا يقدرون على إزعاجهم. لو كان لأحد عدوٌّ واحدٌ فحسب فلا يشعر بالأمن من شره كل حين وآن ناهيك أن يناصب له البلد كله العداء ثم يعيش مطمئنًّا ومتمتعًا براحة البال ويتحمل جميع تصرفاتهم المريرة بقلب

هادئ. إن صبرهم عليها معجزة أو كرامة بحد ذاته. أما ثبات الرسول ﷺ فهي أكبر من مئات الألوف من المعجزات. فإن اتحاد القوم كله ضده، وإغراءَهم له بالثروة والحكومة والمنصب الدنيوي والأزواج الجميلات وغيرها بشرط امتناعه عن إعلاء كلمة: لا إله إلا الله، وردُّ النبي ﷺ عليهم بأنه لو كان كل ذلك من عند نفسي لقبلت عرضكم، ما جئت بما جئتكم به إلا بأمر من الله تعالى، ثم تحمُّلُه صنوفًا من الإيذاء والتعذيب؛ لهو معجزة عظيمة تفوق قدرات الإنسان، ولا يتحلى المؤمن بمثل هذه الطاقة والقدرة على التحمل والصبر من الله تعالى إلا بالدعاء، فإن دعاء هؤلاء القوم يقضي أحيانًا على هجماتٍ شرسة للأعداء. لا بد أنكم سمعتم قصد عمر رضي الله عنه لقتل النبي ﷺ. لقد أعلن أبو جهل في قومه أن من قتل النبي ﷺ نال جائزة عظمى، فتعاهد عمر رضي الله عنه قبل إسلامه مع أبي جهل ووطّن نفسه على قتل النبي ﷺ، ثم راح يتحين الفرصة لذلك، فعلم أن النبي ﷺ يرتاد الكعبة في منتصف الليل للصلاة، فاستحسنه عمر وجاء الكعبة عند حلول المساء وجلس مختبئًا، فلما انتصف الليل تناهى إلى سمعه صوت "لا إله إلا الله". أراد عمر قتل النبي ﷺ عند سجدته لربه. بدأ النبي مناجاته مع ربه بكل حرقة وألم، ثم حمد الله تعالى في السجدة بطريقة رقّ بها قلبُ عمر وفَقَدَ جرأته واندفاعه لقتل النبي ﷺ بل طرأ اضمحلال على يده القاتلة. فلما أنهى النبي ﷺ صلاته وتوجه تلقاء بيته تبعه عمر، فانتبه النبي ﷺ لصوت قدميه وقال: أما تتركني يا

عمر؟ صاح عمر مخافة أن يدعو عليه النبي ﷺ: لقد تخليت عن إرادتي لقتلك، فلا تدعو علي. كان عمر رضي الله عنه يقول: أول ما وقع الإسلام في قلبي كان في هذه الليلة."

ثم قال حضرته في أحد المجالس: "إن العدوَّ شريرَ الطوية يعترض على كل قول أو فعل لنا بسبب عدائه، لأن قلبه قد فسد، ومَن فسد قلبه تراءت له الظلمات في جميع الجهات. يقول مثل هؤلاء الجهلة عني بأنني جالس في مكاني ولا أحرك ساكنًا، ولا يعرفون أنه لم يرد عن المسيح الموعود في أي كتاب أنه يمتشق السيف فيقوم بالحرب، بل كل ما ورد هو أن الناس يهلكون بنفَسه، أي أنه ينجز جميع مهامه معتمدًا على الدعاء. فلو كنت أعرف أن خروجي من الدار وتجوالي في المدن يجدي نفعًا لما جلست ههنا لحظةً، ولكنني أعرف أن مثل هذا السير ليس نافعًا ولا يسفر إلا عن إرهاق القدمين، ولا يمكن أن تتحقق جميع هذه الأهداف التي نريد تحقيقها إلا بواسطة الدعاء. لقد أودع الله الدعاء قوى خارقة عظيمة."

## سلاح رجال اللّه الدعاء في جوف الليل

ثم يقول حضرته: "يحكى أن أحد الملوك خرج لغزو بعض البلاد، فلما كان في طريقه مسك أحد الفقراء لجام فرسه قائلا: لا تتقدم وإلا فسأحاربك. تحير الملك وقال له أنت تعاني فقرًا مدقعًا لا حول لك ولا

قوة، فبماذا ستحاربني؟ رد عليه الفقير: سأحاربك بحربة الدعوات الليلية، فقال الملك إذًا لا أستطيع مقاومتك، ورجع القهقرى. باختصار لقد أودع الله تعالى قوى خارقة في الدعاء. وقال لي الله تعالى مرارًا في وحيه إنه لن يتحقق أي شيء إلا بالدعاء. إن حربتنا هي الدعاء وليس عندي سواها حربة بُعثت بها. ما ندعو به خفيةً يظهره الله تعالى. لا شك أن بعض الأعداء في زمن الأنبياء السابقين قد عوقبوا على يد الأنبياء أيضا، ولكنه تعالى يعلم بأننا ضعاف لا حول لنا ولا قوة، لذلك فقد تولى بنفسه جميع أعمالنا، فلم يبق للإسلام إلا سبيل واحد ولا يفهمه علماء الظاهر والفلاسفة المتمسكون بالقشور. لو كان سبيل القتال مفتوحًا لهُيّئت لنا أسبابه أيضا. عندما تبلغ دعواتنا ذروتها ستؤدي إلى هلاك الكاذبين تلقائيا. يقول المعترض الذي اسود قلبه بأنه ليس همّنا سوى الأكل والنوم ولكنه لا يعرف أنه ليس من سلاح أمضى من الدعاء، والسعيد من يفهم بأي طريق يريد الله تعالى ازدهار دينه."

ولقد قدمت أمامكم بضعة نماذج من كلام المسيح الموعود عليه السلام عن الدعاء. وفّقنا الله تعالى لفهم موضوع الدعاء والعمل به في حياتنا، وأن يكون أكبر همّنا هو التقرب إلى الله والفوز برضاه، وأن نكون من الخاضعين والداعين له في الفرح والترح. ووفّقنا لفهم مسؤولياتنا التي تقع على عاتقنا بعد ارتباطنا بالمسيح الموعود عليه السلام ببيعته، منها أن يصبح قولنا وفعلنا هادفًا لنيل رضا الله تعالى. ووفّقنا الله لإيثار الدين على الدنيا

وللدعاء له مخلصين. أكثِروا من الدعاء في هذه الأيام - التي تتعرض الجماعة فيها لهجمات المعارضين— ليحفظها الله تعالى في كل حين، ويردّ شرور الأعداء وكيدهم في نحورهم.

"اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم."

"رب إني مظلوم فانتصِرْ."

"رب كل شيء خادمك، ربّ فاحفَظْني وانصرْني وارحمْني."

وهناك دعاء كان المسيح الموعود عليه السلام يدعو به خاصة وهو:

"رَبِّ توفَّني مسلمًا، وأَلْحِقْني بالصالحين."

ندعو الله تعالى أن يجعلنا من الصالحين، ويستجيب دعواتنا، ويوفقنا للسير في الدورب التي أرادها لنا المسيح الموعود عليه السلام. آمين.

**(خطبة الجمعة يوم ٢٠ /٠٥/ ٢٠١١ في مسجد بيت الفتوح بلندن)**

